المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
المفاهيم القرآنية من سورة الفلق

مقدمه تمهيديه كمدخل لاستنباط المفاهيم من سورة الفلق

البطاقة التعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الفلق"

أولا ً: التعريف بالكتاب

اسم الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة الفلق

موضوع الكتاب: دراسة تفسيرية تحليلية متعمقة لسورة الفلق، تركز على استخلاص المفاهيم القرآنية، والدروس التربوية، والرسائل النفسية والفكرية التي تحملها آيات السورة، مع ربطها بالواقع المعاصر.

طبيعة الكتاب: كتاب تفسيري تربوي، يجمع بين التأصيل اللغوي والتحليل الموضوعي، مع تركيز خاص على الأبعاد النفسية والتربوية والعملية، وبأسلوب يجمع بين العمق العلمي واليسر البلاغي.

تأليف: أحمد عبد الرزاق مربوش العامري

مراجعة وتدقيق: الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى

ثانياً: محاور الكتاب ومحتواه

يتضمن الكتاب المحاور الرئيسية التالية:

١.التعريف بسورة الفلق: عدد آياتها، مكان نزولها، ترتيبها في المصحف وفي النزول، أسماؤها وسبب التسمية، الأجواء التي نزلت فيها، أسباب النزول، أهداف السورة، موضوعها الرئيسي، محاورها، خصائصها وفضائلها، وما انفردت به السورة، ومقاصدها.

٢.التفسير التحليلي لآيات السورة: يقدّم الكتاب تفسيراً وافياً لكل آية من آيات السورة الخمس، يشمل:

- التحليل اللغوي والمفهومي العميق للآية.
- استخلاص الدروس التربوية والمفاهيم النفسية والفكرية والعملية.
- بيان المواضيع والقضايا الكبرى التي تعالجها الآية.
- ربط الآية بالواقع المعاصر.

٣.الموضوعات الكبرى التي تتناولها السورة:

- الاستعاذة بالله: مفهومها، أطرافها، دلالاتها.
- دلالة "الفلق" وما تحمله من معانٍ متعددة (الصبح، الخلق، فلق الحب والنوى).
- مفهوم الشر في المخلوقات.
- الغاسق إذا وقب: تصوير الليل الدافق بظلمته وما يحمله من شرور.
- النفاثات في العقد: السحر وخطورته وأحكامه.
- الحاسد إذا حسد: دوافع الحسد وخطورته وعلاجه.
- التناسب بين سورة الفلق وسورتي الإخلاص والناس.

ثالثاً: منهجية الكتاب

يعتمد الكتاب منهجية متكاملة تقوم على:

١.المنهج التفسيري التحليلي: حيث يبدأ بتعريف شامل بالسورة، ثم ينتقل إلى تفسير كل آية على حدة، مع تحليل دقيق لألفاظها وتراكيبها.

٢.المنهج الموضوعي: لا يقتصر على الشرح اللغوي، بل يستعرض المواضيع والقضايا الكبرى التي تتناولها السورة، ويربط بين آياتها وبين السور الأخرى.

٣.المنهج التربوي النفسي: يركز على استخلاص الدروس التربوية والمفاهيم النفسية من الآيات، وكيفية تطبيقها في بناء الشخصية السوية والمجتمع المتماسك.

٤.المنهج البلاغي البياني: يهتم بتحليل الصور البيانية والبلاغية في الآيات، وكشف دلالاتها وأثرها في النفوس.

٥.المنهج المقارن: يُبرز الفروق والدلالات بين سورة الفلق وسورة الناس، ويوضح التناسب بينهما.

رابعاً: أسلوب المؤلف وأهميته

أسلوب المؤلف:

١.الوضوح والسهولة: يكتب المؤلف بأسلوب واضح وسلس، يجمع بين الدقة العلمية واليسر في التعبير، مما يجعل الكتاب في متناول القارئ غير المتخصص.

٢.العمق التحليلي: لا يكتفي بالشرح السطحي، بل يتعمق في تحليل الألفاظ والمفاهيم، ويكشف عن الطبقات العميقة للمعنى القرآني.

٣.الترابط المنهجي: يربط بين الآيات، وبين السور، وبين النصوص القرآنية والواقع العملي، مما يمنح الكتاب وحدة موضوعية.

٤.التركيز على الجانب التطبيقي: يهتم بتقديم توجيهات عملية مستفادة من الآيات، وكيفية تطبيقها في حياة المؤمن اليومية.

٥.اللغة البلاغية المؤثرة: يستخدم لغة بلاغية مؤثرة، تصور المشاهد القرآنية وتجعل القارئ يعيش معاني الآيات.

أهمية الأسلوب:

هذا الأسلوب يجعل الكتاب أداة فعالة في التربية الإيمانية، وبناء الشخصية المسلمة، وتنقية المفاهيم، وتحرير الإنسان من المخاوف الوهمية، وتوجيهه إلى التوكل على الله والاستعاذة به.

خامساً: ما يتميز به الكتاب عن بقية التفاسير

١.التركيز على "المفاهيم" لا "المعاني" فقط: يتجاوز الكتاب مجرد شرح الألفاظ إلى استخلاص المفاهيم الكلية التي تضعها السورة في ذهن المؤمن.

٢.الجمع بين التفسير والتربية: يقدم الكتاب تفسيراً قرآنياً مقروناً بتحليل تربوي نفسي، مما يجعله مرشداً عملياً للحياة.

٣.الربط بين السور: يُبرز الكتاب التناسب البديع بين سورة الفلق وسورتي الإخلاص والناس، ويوضح كيف تشكل هذه السور وحدة متكاملة في بناء العقيدة والسلوك.

٤.الاهتمام بالأبعاد النفسية: يفرد الكتاب مساحات واسعة لتحليل المفاهيم النفسية كالخوف، والقلق، و الوسواس، والحسد، وكيف يعالجها القرآن.

٥.معالجة القضايا المعاصرة: يربط الكتاب بين معاني السورة والواقع المعاصر، مثل الجرائم الإلكترونية ، والاكتئاب، والفساد الخلقي، مما يجعله ذا صلة مباشرة بحياة القارئ اليوم.

٦.التفصيل في مسألة سحر النبي ﷺ: يناقش الكتاب هذه القضية العقدية المهمة، ويعرض الأدلة على عدم وقوع السحر بالنبي ﷺ، ويرد على الروايات الواردة في ذلك.

سادساً: الجمهور المستهدف بالكتاب

١.طلاب العلم الشرعي: الذين يريدون فهماً عميقاً لسورة الفلق، واستخلاصاً دقيقاً لدروسها.

٢.المربون والدعاة: الذين يحتاجون إلى مادة تربوية قرآنية، تعينهم في بناء الشخصية المسلمة.

٣.المهتمون بالصحة النفسية: الذين يبحثون عن رؤية قرآنية لمعالجة القلق والخوف والوساوس.

٤.عموم القراء والمؤمنين: الذين يريدون أن يفهموا سورة الفلق فهماً تطبيقياً، يعينهم على تحسين حياتهم وعلاقتهم بالله.

٥.الباحثون في الإعجاز القرآني: الذين يدرسون الجوانب البلاغية والنفسية والتربوية في القرآن.

سابعاً: أهداف المؤلف وغاياته

١.تعليم المؤمنين الاستعاذة بالله من كل شر، ظاهراً وباطناً.

٢.ترسيخ التوحيد في النفوس، وربط القلوب بالله وحده في الشدائد.

٣.تحرير الإنسان من المخاوف الوهمية التي يحاول المشركون والمخوّفون استغلالها لتسيير الناس.

٤.تزكية النفس وتطهيرها من الخوف من المخلوقات، وتوجيه الخوف كله إلى الله.

٥.بناء شخصية المؤمن المتزنة التي لا تخاف إلا من الله، ولا تلجأ إلا إليه، وتستعين به في كل أمر.

٦.تقديم رؤية قرآنية لمعالجة الأمراض النفسية كالقلق والوسواس والخوف المرضي.

٧.بيان خطر السحر والحسد على الفرد والمجتمع، وكيفية التحصن منهما بالاستعاذة بالله.

٨.إبراز التناسب البديع بين سورة الفلق وما قبلها وما بعدها، ودور ذلك في بناء الإنسان والمجتمع و الحضارة الإسلامية.

ثامناً: المفاهيم المستخلصة من الكتاب

يستخلص الكتاب مجموعة من المفاهيم الأساسية، منها:

١.مفهوم الاستعاذة: أنها ليست مجرد كلمات، بل هي حالة نفسية وروحية تعبر عن ضعف العبد، وحاجته إلى ربه، وثقته بقدرة الله.

٢.مفهوم الفلق: أنه يحمل معاني متعددة: الصبح الذي يفلق الظلمة، والخلق كله، وفلق الحب والنوى، وكل ما يفلق وينشق في الوجود.

.٣مفهوم الشر في المخلوقات: أن الشر ليس في ذوات المخلوقات، بل في أوصافها وأفعالها، وأن الله لم يخلق شراً محضاً، بل خلقه لحكمة بالغة.

.٤مفهوم الغاسق: أنه الليل المظلم الدافق، الذي يحمل في طياته شروراً متعددة: الحيوانات المفترسة، والزواحف السامة، والأعداء المتربصون، والوساوس، والشهوات المحرمة.

.٥مفهوم النفاثات في العقد: أنه السحر، وهو شر خفي لكنه مدمر، يستعين بالشياطين، ويؤثر في النفوس والأبدان، وهو من كبائر الذنوب.

.٦مفهوم الحسد: أنه تمني زوال النعمة عن الغير، وهو داء قلبي خطير، يزرع الكراهية والبغضاء في المجتمع، وهو أصل لكثير من الشرور.

.٧مفهوم الفرار إلى الله: أنه ترك كل سبب سوى الله، والتوجه إليه وحده بالدعاء والاستعاذة، والا عتراف بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

تاسعاً: لماذا يجب أن تقرأ الكتاب؟

.١لفهم عميق لسورة الفلق: يمنحك الكتاب فهماً شاملا ً ومتعمقاً لسورة الفلق، يتجاوز التفسير التقليدي إلى استخلاص المفاهيم والدروس.

.٢لتعلم كيفية الاستعاذة بالله: يعلمك الكتاب كيف تستعيذ بالله استعاذة صحيحة، وكيف تجعلها شعاراً في حياتك اليومية.

.٣للتخلص من المخاوف: يساعدك الكتاب على تحرير نفسك من المخاوف الوهمية، ويربط قلبك ب الله وحده، مما يمنحك الطمأنينة والسكينة.

.٤لعلاج القلق والوساوس: يقدم لك الكتاب رؤية قرآنية لمعالجة القلق والوساوس، ويعلمك كيف تواجهها بالاستعاذة والذكر.

.٥لفهم خطر السحر والحسد: يبين لك الكتاب حقيقة السحر والحسد، وخطورتهما على الفرد والمجتمع ، وكيفية التحصن منهما.

.٦لبناء شخصية إيمانية متزنة: يعينك الكتاب على بناء شخصية مؤمنة قوية، لا تخاف إلا من الله، ولا تلجأ إلا إليه، وتستعين به في كل أمر.

.٧للاستفادة من المنهج التربوي القرآني: يضع بين يديك الكتاب منهجاً تربوياً قرآنياً متكاملا ً، يمكنك تطبيقه في تربية نفسك وأسرتك ومجتمعك.

عاشراً: مخرجات الكتاب

.١فهم متكامل لسورة الفلق من جميع جوانبها: لغوية، تفسيرية، تربوية، نفسية، بلاغية.

.٢قدرة على الاستعاذة بالله استعاذة صحيحة، وفهم عميق لمعناها ومقاصدها.

.٣تحرر من المخاوف الوهمية التي تسبب القلق والاضطراب النفسي.

.٤معرفة بكيفية مواجهة الوساوس والأفكار السلبية بالاستعاذة والذكر.

.٥وعي بخطورة السحر والحسد، ومعرفة بكيفية التحصن منهما.

.٦إدراك للتناسب البديع بين سور القرآن، وكيفية بناء الشخصية الإيمانية من خلالها.

.٧استعداد لتطبيق الدروس التربوية في الحياة اليومية، وبناء مجتمع متماسك قائم على الإيمان و

التوكل على الله.

.٨اقتناع بأن الاستعاذة بالله هي الحصن الحصين من كل شر، وأن الله هو الملجأ والملاذ الوحيد.

الحادي عشر: أقوال مأثورة وردت بلسان المؤلف

من الأقوال المأثورة التي وردت في الكتاب:

.١"الاستعاذة ليست مجرد كلمات ترددها الألسن، بل هي حالة نفسية وروحية عميقة، يعبر فيها الإنسان عن ضعفه وعجزه، ويعلن فيها فقره إلى ربه".

.٢"الاستعاذة بالله هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه، من شر كل ذي شر".

.٣"الفلق هو الصبح الذي يفلق الظلمة، وهو رمز للأمل بعد اليأس، وللفرج بعد الضيق، وللنور بعد الظلمة".

.٤"الشر ليس في ذوات المخلوقات، بل في أوصافها وأفعالها، والله لم يخلق شراً محضاً، بل خلقه لحكمة بالغة".

.٥"الغاسق هو الليل المظلم الدافق، الذي يحمل في طياته شروراً متعددة: الحيوانات المفترسة، و الزواحف السامة، والأعداء المتربصون، والوساوس، والشهوات المحرمة".

.٦"السحر شر خفي لكنه مدمر، يستعين بالشياطين، ويؤثر في النفوس والأبدان، وهو من كبائر الذنوب".

.٧"الحسد هو تمني زوال النعمة عن الغير، وهو داء قلبي خطير، يزرع الكراهية والبغضاء في المجتمع".

.٨"الفرار إلى الله هو ترك كل سبب سوى الله، والتوجه إليه وحده بالدعاء والاستعاذة، والاعتراف بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه".

.٩"القرآن يعالج الخوف باليقين، وليس بالإنكار .لم يقل القرآن: لا تخف، فلا يوجد خوف .بل قال: استعذ بالله من هذا الخوف".

.١٠"من استعاذ بالله، وتوكل عليه، وثق به، كان الله معه، وحفظه من كل سوء، ومن كل شر، ومن كل مكروه".

الخلاصة

يُعد كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة الفلق" مرجعاً تفسيرياً تربوياً متميزاً، يقدم قراءة متعمقة لسورة الفلق، تتجاوز الشرح اللغوي إلى استخلاص المفاهيم والدروس النفسية والتربوية والعملية. بأسلوبه الواضح والعميق، ومنهجيته التحليلية الشاملة، يخاطب الكتاب طلاب العلم والمربين والمهتمين بالصحة النفسية وعموم القراء، ويساعدهم على فهم سورة الفلق فهماً تطبيقياً، وتحرير أنفسهم من المخاوف، وبناء شخصية إيمانية متزنة، والتحصن بالله من كل شر. وهو يتميز عن غيره من التفاسير بتركيزه على "المفاهيم" وربطها بالواقع المعاصر، مما يجعله كتاباً عصرياً وفعالاً ً في التربية الإيمانية.
التعريف بسوره الفلق

.١عدد آيات السورة

عدد آيات سورة الفلق خمس آيات باتفاق القرّاء. وعدد كلماتها ثلاث وعشرون كلمة، وعدد حروفها واحد وسبعون حرفاً.

.٢مكان نزول السورة

سورة الفلق هي سورة مكية في قول جمهور المفسرين كالحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد. وقد ورد قول آخر بأنها مدنية، وروي ذلك عن قتادة وأبي صالح عن ابن عباس. لكن الراجح والأكثر شهرة أنها مكية؛ لأن رواية كريب عن ابن عباس مقبولة بخلاف رواية أبي صالح.

.٣ترتيب السورة

أ. الترتيب في المصحف المرتل

ترتيب سورة الفلق في المصحف الشريف هو السورة رقم 113، وذلك في الجزء الثلاثين، بعد سورة ا لإخلاص وقبل سورة الناس.

ب. ترتيبها من حيث النزول

ترتيب نزول سورة الفلق هو العشرون (20) بين سور القرآن الكريم، فقد نزلت بعد سورة الفيل وقبل سورة الناس.

ج. أهمية هذا الترتيب ودلالته التربوية

لسورة الفلق موقع متميز في المصحف، فهي تأتي بعد سورة الإخلاص التي تثبت التوحيد الخالص لله ، وقبل سورة الناس التي تكمل الاستعاذة من الشرور الباطنة. وهذا الترتيب يحمل دلالات تربوية عميقة:

· أولا ً: التوحيد قبل الاستعاذة – فسورة الإخلاص تثبت في قلب المؤمن أن الله أحد صمد، لا شريك له، ثم تأتي سورة الفلق لتدعوه إلى الاستعاذة بهذا الإله الواحد من كل شر .وهذا يعلمنا أن الا ستعاذة الصحيحة لا تكون إلا بعد تحقيق التوحيد الخالص لله.

· ثانيا: الاستعاذة من الخارج قبل الداخل – فسورة الفلق تعوذ من الشرور الخارجية) المخلوقات، الليل، السحر، الحسد(، ثم تأتي سورة الناس لتعوذ من الشرور الباطنة) الوسواس الخناس .(وهذا يرسخ قاعدة تربوية عظيمة: أن تحصين النفس يبدأ بالوقاية من الأخطار الخارجية ثم الداخلية.

· ثالثا: التناسب مع سورة الإخلاص – فسورة الإخلاص تبني العقيدة، وسورة الفلق تبني السلوك العملي في مواجهة الشرور، وسورة الناس تبني المناعة النفسية والروحية .وهذا يشكل منهجا ً متكاملا ً لبناء الإنسان المسلم.

.٤التناسب بين سورة الفلق وما قبلها وما بعدها ودوره في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلا مية

أولا ً: التناسب بين سورة الإخلاص وسورة الفلق ودوره في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلا مية

من التناسب البديع بين سورة الإخلاص وسورة الفلق أنهما تشكلان وحدة متكاملة: فالإخلاص يثبت التوحيد، والفلق يثبت الاستعاذة بالله وحده. وهذا الترتيب التوقيفي يكشف عن منهج رباني محكم لبناء الإنسان والمجتمع:

.١بناء الإنسان: ترسخ السورتان في نفس المؤمن عقيدة الإخلاص الكامل لله، وتعلمه أن من آمن ب الله حقا، استعاذ به من كل شر، وتوكل عليه، ولم يخف سواه.

.٢بناء المجتمع: تضعان منهجا واضحا للتعامل مع الشرور، قائما على اللجوء إلى الله والاعتصام به، مما يخلق مجتمعا متماسكا لا يخاف إلا من الله.

.٣بناء الحضارة الإسلامية: هذا الموقف الإيماني أسس لشخصية مسلمة عزيزة، تعرف أنها في حفظ الله ورعايته، فتنطلق لبناء الحضارة بثقة ويقين.

ثانياً: التناسب بين سورة الفلق وسورة الناس ودوره في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

التناسب بين السورتين وثيق وعميق، فهما المعوذتان اللتان نزلتا معاً:

· سورة الفلق: تعوذ من الشرور الخارجية الظاهرة) المخلوقات، الليل، السحر، الحسد.(

· سورة الناس: تعوذ من الشرور الباطنة الخفية) الوسواس الخناس.(

دوره في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية:

· بناء الإنسان: ترسخ السورتان في نفس المؤمن اليقظة الدائمة، واللجوء إلى الله من كل شر، ظاهراً وباطناً، وتعلِّمه أن يحصن نفسه من جميع الجهات.

· بناء المجتمع: تضعان منهجاً شاملا ً للتحصن من الشرور، مما يخلق مجتمعاً آمناً مطمئناً، يتعاون أفراده على البر والتقوى.

· بناء الحضارة الإسلامية: هذا المنهج الشامل في التحصن والاستعاذة أسس لشخصية مسلمة متزنة، لا تخاف إلا من الله، ولا تلجأ إلا إليه، مما مهد لانطلاق الحضارة الإسلامية بقوة وثبات.

.٥أسماء السورة وسبب التسمية

الأسماء التوقيفية (التي وردت في النص القرآني والآثار) :

.1سورة الفلق: وهو الاسم المشهور في المصاحف.
.2سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾: وردت بهذا الاسم في بعض الآثار.
.3سورة المعوذة الأولى: مع سورة الناس تسميان المعوذتين.

الأسماء الاجتهادية (التي أطلقها العلماء لمعانٍ بلاغية) :

.1سورة المشقشقتين – مع سورة الناس.
.2سورة المقشقشتين – مع سورة الناس، أي تبرئان من النفاق.

سبب التسمية:

سُميت سورة الفلق لافتتاحها بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. والفلق في اللغة: الشق والانشقاق، وهو الصبح الذي ينفلق عن ظلمة الليل.

.٦الأجواء التي نزلت فيها السورة

نزلت سورة الفلق في جوّ من الحاجة إلى التحصن والاستعاذة بالله من الشرور. وقد ورد في سبب نزولها أن النبي ﷺ تعرض للسحر من رجل من اليهود، فاشتكى لذلك أياماً، فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين , وأخبره بمكان السحر، فأرسل النبي ﷺ علياً رضي الله عنه ليستخرجه ويحل العقد. وقيل أيضاً إن سبب نزولها أن قريشاً ندبوا من اشتهر بينهم أنه يصيب النبي ﷺ بعينه.

وفي هذا الجو من الحاجة إلى الحماية من الشرور الظاهرة، نزلت السورة لتعليم النبي ﷺ والمؤمنين كلمات الاستعاذة بالله من كل شر.

.٧أسباب النزول للسورة

سبب النزول العام:

أن لبيد بن الأعصم سحر رسول الله ﷺ، فعقد له عقداً في بئر، فاشتكى النبي ﷺ لذلك. فنزل جبريل عليه السلام بالمعوذتين , وأخبره بمكان السحر، فأرسل النبي ﷺ علياً رضي الله عنه فاستخرجها وحل العقد. فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال.

وقد قيل في سبب نزولها أيضاً:

أن قريشاً ندبوا من اشتهر بينهم أنه يصيب النبي ﷺ بعينه، فأنزل الله المعوذتين ليتعوذ منهم بهما.

٨.أهداف وغايات السورة

1.تعليم النبي ﷺ والمؤمنين الاستعاذة بالله من كل شر.
2.التحصن والاعتصام بالله من الشرور الظاهرة.
3.إثبات وتقرير توحيد الربوبية والألوهية بتعليم الأمة الاعتصام بالله.
4.الحماية من شرور المخلوقات بأنواعها.
5.الحماية من شر الليل إذا أظلم.
6.الحماية من شر السحرة النفاثات في العقد.
7.الحماية من شر الحاسدين إذا حسدوا.
8.تزكية النفس وتربيتها على التوكل على الله واللجوء إليه.

٩.الموضوع الرئيسي للسورة

الموضوع الرئيسي لسورة الفلق هو الاستعاذة بالله رب الفلق من شرور المخلوقات، بأنواعها المختلفة: شر ما خلق عامة، وشر الليل إذا أظلم، وشر السواحر النفاثات في العقد، وشر الحاسدين إذا حسدوا.

وهي بذلك تجمع بين التوحيد (بالتوجه إلى رب الفلق)، والاستعاذة (من كل شر)، والتفصيل (ببيان أنواع الشرور المستعاذ منها).

١٠.محاور السورة والمواضيع التي تتحدث عنها

تتضمن سورة الفلق خمسة محاور رئيسية، كل محور في آية:

المحور الأول: الأمر بالاستعاذة برب الفلق (الآية الأولى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾)

- إثبات عظمة المُعاذ به سبحانه وتعالى.
- تعريف الفلق بأنه الصبح الذي يفلق الظلمة.
- تخصيص وصف الله برب الفلق لما في الليل من شرور.
- الأمر بالقول والإعلان بالاستعاذة.

المحور الثاني: الاستعاذة من شر المخلوقات عامة (الآية الثانية: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾)

- الاستعاذة الشاملة من كل مخلوق فيه شر.
- إثبات أن الشر ليس في ذوات المخلوقات، بل في أوصافها وأفعالها.
- الاعتراف بأن الله خالق كل شيء، والخير كله بيده.

المحور الثالث: الاستعاذة من شر الليل إذا أظلم (الآية الثالثة: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾)

- الاستعاذة من شر الليل المظلم الدافق.
- بيان ما في الليل من شرور: لصوص، سباع، ذوات سموم.

· الاستعاذة من الأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر.

المحور الرابع: الاستعاذة من شر السواحر (الآية الرابعة: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾)

· الاستعاذة من شر السحرة الذين ينفثون في العقد.
· بيان خطر السحر وأثره في النفوس والأبدان.

المحور الخامس: الاستعاذة من شر الحاسدين (الآية الخامسة: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾)

· الاستعاذة من شر الحاسد إذا حسد.
· بيان خطورة الحسد وأثره المدمر في النفوس والمجتمعات.

١١.خصائص السورة وفضائلها

خصائص السورة:

· من سور المفصّل.
· السورة الوحيدة التي ذكرت فيها كلمة "وقب" ومشتقاتها.
· السورة الوحيدة التي ذكرت فيها كلمة "نفاثات".
· أكثر سورة تكرر فيها لفظ "شر" 4) مرات.(
· تسمى مع سورة الناس "المعوذتين".

فضائلها:

.1تستحب قراءتها في دبر كل صلاة: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة".
.2ما أنزل مثلهن في التوراة ولا الإنجيل ولا الفرقان: عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أعلمك سوراً ما أنزلت في التوراة، ولا في الزبور، ولا في الإنجيل، ولا في الفرقان مثلهن؟".
.3من قرأ المعوذات حين يمسي وحين يصبح ثلاثاً كفته من كل شيء: عن عبد الله بن خبيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسي وتصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء".
.4كان النبي ﷺ يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما.
.5كان النبي ﷺ يقرأ على نفسه بالمعوذات إذا اشتكى وينفث.
.6هي من أفضل ما يتعوذ به المتعوذون: عن ابن عابس الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "أ لا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ ...قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس".

١٢.ما انفردت به السورة

.1أنها السورة الوحيدة التي وردت فيها كلمة "وقب" ومشتقاتها.
.2أنها السورة الوحيدة التي وردت فيها كلمة "نفاثات".
.3أنها أكثر سورة تكرر فيها لفظ "شر") أربع مرات.(
.4أنها مع سورة الناس تشكلان "المعوذتين" اللتين نزلتا معاً، ولهما فضل عظيم لم ينزل مثله في الكتب السماوية السابقة.
.5ورود لفظ "الفلق" الذي لم يرد في غيرها من سور القرآن بهذا المعنى.

١٣.مقاصد السورة

.1تعليم النبي ﷺ والمؤمنين كلماتٍ للالتجاء إلى الله، والتعوذ به من شر ما يتقى شره من

المخلوقات الشريرة.
.2التحصن والاعتصام بالله من الشرور الظاهرة.
.3إثبات وتقرير توحيد الربوبية والألوهية، وتربية الأمة على الاعتصام بالله.
.4تعليم المؤمن أن الشر لا يضاف إلى الله، بل كل ما يخلقه الله يخلقه بحكمة، وإن كان فيه بعض شر لبعض الناس فهو شر جزئي.
.5الحماية من شرور المخلوقات بأنواعها: شر ما خلق عامة، وشر الليل، وشر السحر، وشر الحسد.
.6تربية النفس على التوكل على الله، واللجوء إليه في كل شديدة.
.7تزكية النفس وتطهيرها من الخوف من المخلوقات، وتوجيه الخوف كله إلى الله.

.١٤رسالة السورة الكبرى

الرسالة الكبرى لسورة الفلق هي: "الاستعاذة بالله وحده من شرور المخلوقات كلها، ظاهرها وباطنها".

إنها سورة التحصن والاعتصام، التي تعلن للعالم كله أن الملجأ الحقيقي من كل شر هو الله رب الفلق، خالق الصبح الذي يفلق الظلمة، وأن على المؤمن أن يلجأ إليه من شر ما خلق، ومن شر الليل إذا أظلم، ومن شر السواحر النفاثات في العقد، ومن شر الحاسدين إذا حسدوا.

وهي بذلك رسالة أمن وطمأنينة لكل مؤمن، بأن الله معه، وأنه في حفظه ورعايته، وأن الاستعاذة به هي الحصن الحصين من كل مكروه.

الخاتمة

سورة الفلق سورة مكية، عدد آياتها خمس، وترتيبها 113 في المصحف، وترتيبها 20 في النزول. سُميت بذلك لافتتاحها بذكر الفلق، وهو الصبح الذي يفلق الظلمة. نزلت لتعليم النبي ﷺ والمؤمنين الا ستعاذة بالله من شرور المخلوقات: شر ما خلق عامة، وشر الليل إذا أظلم، وشر السواحر النفاثات في العقد، وشر الحاسدين إذا حسدوا.

وهي من أعظم سور القرآن فضلا ً، وقد ورد في شأنها أحاديث كثيرة تدل على عظيم مكانتها، منها أنها من أفضل ما يتعوذ به المتعوذون، وأنه ما أنزل مثلها في التوراة ولا الإنجيل ولا الفرقان، وأن قراءتها في دبر كل صلاة من السنة، وأن قراءتها ثلاثاً في الصباح والمساء تكفي من كل شيء.

وانفردت السورة بكلمات لم ترد في غيرها: "وقب" و"نفاثات"، وهي أكثر سورة تكرر فيها لفظ "شر".

ورسالتها الكبرى هي أن الاستعاذة بالله وحده هي الحصن الحصين من كل شر، وأن على المؤمن أن يلجأ إلى ربه في كل وقت، ومن كل مكروه، وأن الله هو رب الفلق، خالق الصبح الذي يفلق الظلمة، وهو القادر على أن ينجي عباده من شرور الليل والنهار.
التفسير للسورة
تفسير الآية الأولى والثانية من سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ من شر ما خلق ﴾

المقدمة: حين يكون الملجأ إلهياً ...والفلق فجراً ينير دروب الخائفين

في هذه الآية الافتتاحية من سورة الفلق، نقف أمام مشهد روحاني مهيب: أمر إلهي مباشر للنبي ﷺ وللمؤمنين من بعده، بأن يلجأوا إلى ربهم، ويعتصموا بحباله، ويستعيذوا به من شرور تكتنف هذا الوجود .إنها آية تضعنا أمام أعظم صور التوكل والاعتماد على الله، حيث يأمرنا الخالق العليم بحاجات عباده، أن نتجه إليه وحده، نستجير به، ونلوذ بجنابه، من كل ما يخاف الإنسان ويحذره.

واللافت في هذه الآية أنها بدأت بفعل الأمر ﴿قُلْ﴾، وهو خطاب مباشر للنبي ﷺ، وفيه توجيه للأمة كلها، فلم يقل "أعوذ" بل "قل أعوذ"، ليكون القول فعلا ً وقولا ً، وإعلاناً وتطبيقاً، وتذكيراً للناس

جميعاً بأن الاستعاذة بالله هي سبيل النجاة، ومنهج الأمن، وطريق الطمأنينة.

ثم جاء الفعل المضارع ﴿أَعُوذُ﴾، بصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار، ليعلم المؤمن أن الا ستعاذة بالله ليست فعلا ً لمرة واحدة، بل هي حال دائمة، وروح متجددة، وعبادة مستمرة، يلجأ فيها العبد إلى ربه كلما أحس بالخوف، أو واجه خطراً، أو شعر بضعفه أمام قوى لا يطيقها.

ثم جاء الاسم العظيم ﴿بِرَبِّ﴾، فلم يقل "بخالق" ولا "بمالك"، بل قال "برب"، والرب هو المربي، والمالك ، والمدبر، والقائم على شؤون عباده، وهو الذي يربي عباده باللطف والعناية والرعاية، ويدبر أمورهم، ويمنحهم الأمن في خوفهم، والقوة في ضعفهم.

ثم جاء الاسم المبهم ﴿الفَلَقِ﴾، بلام التعريف التي تفيد الاستغراق والكمال، والفلق يحمل معاني متعددة تتسع لتشمل كل ما يفلق من خلق الله، من الصبح الذي يفلق ظلمة الليل، إلى الحب والنوى الذي يفلق الأرض ليخرج النبات، إلى كل ما يخرج من مكنونات الوجود.

إنها سورة تزرع في القلب الثقة بالله، وتجعله لا يخاف إلا منه، ولا يلجأ إلا إليه، ولا يستعيذ إلا به، وتحرر الإنسان من كل المخاوف الوهمية التي يحاول الكثيرون استغلالها لسيطرة على الناس.

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق للآية

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾

التحليل اللغوي:

﴿قُلْ﴾: فعل أمر مبني على السكون، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره "أنت"، والخطاب موجه إلى النبي ﷺ، وفيه توجيه للأمة كلها بأن تقول وتعلن وتجاهر بالاستعاذة بالله، وأن تجعلها شعارها في كل حين .والأمر هنا ليس مجرد نداء، بل هو توجيه إلهي، ومنهج رباني، وطريق للنجاة، ولذلك كان تكرار الأمر في سورتي الفلق والناس دليلا ً على أهمية هذه العبادة العظيمة.

﴿أَعُوذُ﴾: فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره "أنا"، وهو دال على الاستمرار والتجدد، ف المؤمن يستعيذ بالله في كل وقت، ومن كل شيء، وفي كل حال .والاستعاذة لغةً: الالتجاء والا عتصام، وهي طلب الحماية والحرز من المكروه، ومنع النفس من الوقوع في الشر، ودفع الضرر عنها . وهي تعني أن العبد يفر من شيء يخافه إلى من هو أقوى منه، فيحتمي به، ويستجير بجنابه.

﴿بِرَبِّ﴾: الباء حرف جر للاستعانة، و"رب" اسم مجرور بالباء، والرب هو المالك المتصرف، والمربي، و القائم على شؤون عباده، والمدبر لأمورهم، والمربي لهم بالنعم، والحافظ لهم من المكاره .واختيار لفظ "الرب" هنا يحمل دلالات عميقة: فالرب هو الذي يربي عباده بالعناية، ويمنحهم القوة، ويدفع عنهم الشر، فمن استعاذ بالرب، فقد استعاذ بمن يتولى رعايته وتدبير أمره، وهذا يبعث في القلب الأمن و الطمأنينة.

﴿الفَلَقِ﴾: اسم مجرور بالإضافة، والفلق في اللغة: الشق والانشقاق، ومنه فلق الشيء أي شقه .والفلق في الآية يحمل معاني متعددة:

1.الفلق بمعنى الصبح: وهو فلق الصبح، أي انشقاق الظلمة عن النور، وهو الوقت الذي يفلق فيه الليل عن النهار، قال تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾] الأنعام:[96 ، فهو وقت الأمل والنور بعد ظلمة الليل، وفيه تتجلى قدرة الله في إبداع الخلق وإتقانه.
2.الفلق بمعنى الخلق كله: وهو كل ما يفلق ويخرج وينشق عن الوجود، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ فَالِقُ الحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ﴾] الأنعام:[95 ، فالفلق يشمل كل ما يخرج من الأرض من نبات، وكل ما يفلق عن حياة، وكل ما ينشق في هذا الكون من مخلوقات، فهو اسم جامع لكل ما خلقه الله وأخرجه إلى الوجود.
3.الفلق بمعنى المخلوقات كلها: وقد قال بعض المفسرين إن الفلق هو الخلق كله، فالله رب الفلق أي رب الخلائق كلها، فهو الذي خلقها وأبدعها، وهو الذي يدبرها ويصرف شؤونها، فمن استعاذ برب الفلق، فقد استعاذ بخالق كل شيء، ومالك كل شيء.
4.الفلق بمعنى السجن أو المكان الضيق: وقيل إن الفلق هو سجن في جهنم، أو هو شق في الأرض، ولكن الراجح أن الفلق هو الخلق أو الصبح، لما ورد في الأحاديث النبوية.

المفهوم العميق:

.1الاستعاذة كـ "هروب إلى الله" و"التجاء إلى جنابه":

الاستعاذة ليست مجرد كلمات ترددها الألسن، بل هي حالة نفسية وروحية عميقة، يعبر فيها الإنسان عن ضعفه وعجزه، ويعلن فيها فقره إلى ربه، ويصرخ فيها بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه .والمستعيذ هو الهارب من شيء يخافه، أو يتوقع ضرره، إلى من يستطيع أن يدفع عنه هذا الضرر، وهو الله تعالى.

يقول ابن القيم رحمه الله: "الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه، من شر كل ذي شر، و العياذ يكون لدفع الشر، والاستعاذة لطلب الخير" .فالمستعيذ يطلب من الله أن يعيذه، أي يحفظه ويصونه، وأن يجيره من كل مكروه، وأن يدفع عنه شر ما يخافه .وهذا يدل على أن الاستعاذة تجمع بين أمرين: دفع الشر، وطلب الخير، فهي حركة من العبد نحو ربه، يطلب فيها النجاة من المهالك، و الفوز بالخيرات.

.2"قل" كـ "إعلان ومنهج للجميع":

الأمر بـ "قل" يحمل رسالة تربوية مهمة، وهي أن الاستعاذة بالله ليست عبادة سرية، بل هي عبادة جهرية، ينبغي أن يعلنها المؤمن، ويجاهر بها، ويعلم الناس بها، ويجعلها شعاره في الحياة .فهي ليست مجرد ذكر في القلب، بل هي قول باللسان، يترجم ما في القلب من خوف ورجاء، وتوكل ويقين .وإع لان الاستعاذة بالله فيه تربية للنفس، وتذكير لها بأن الله هو الملجأ الحقيقي، وفيه تعليم للآخرين بأنه لا قوة ولا حول إلا بالله.

.3"رب الفلق" كـ "تكريم إلهي وتأكيد على قدرة المعاذ":

اختيار لفظ "رب الفلق" يحمل دقة بالغة، فالفلق هو ما يفلق عن النور، وهو ما يفلق عن الحياة، وهو ما يفلق عن الوجود، فالله هو رب كل شيء، وخالق كل شيء، ومدبر كل شيء، فمن استعاذ به، فقد استعاذ بمن بيده مقاليد السموات والأرض، ومن لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن هو على كل شيء قدير .وهذا يبعث في نفس المستعيذ الثقة الكاملة بأن الله قادر على حمايته، وكفايته، ودفع الشر عنه.

.4دلالة المضارع "أعوذ" كـ "استمرارية وارتباط دائم":

استعمال الفعل المضارع في قوله "أعوذ" يحمل رسالة عميقة: أن الاستعاذة بالله ليست فعلا ً محدودا ً، بل هي حال دائمة ومستمرة، ينبغي أن تكون ملازمة للمؤمن في كل لحظة، وفي كل حركة، وفي كل سكون، فهو يستعيذ بالله من كل شر، وفي كل وقت، وفي كل حال .وهذا يمنح المؤمن يقينا ً بأن الله معه، وأنه في حفظه ورعايته، وأنه لا يتركه لحظة واحدة.

.5"الفلق" كـ "مجال واسع للمخاوف والشرور":

إبهام الفلق، أو جمعه لكل ما يفلق من خلق الله، يجعل الاستعاذة شاملة لكل أنواع الشرور التي قد تصيب الإنسان، سواء كانت شرورا ً مادية، أو معنوية، أو نفسية، أو روحية، وسواء كانت من الجن، أو من الإنس، أو من الحيوانات، أو من الحشرات، أو من الظواهر الطبيعية، فكل ما خلقه الله، وفيه شر، فالمؤمن يلجأ إلى الله منه، ويتحصن به منه.

الدروس التربوية المستفادة:

· تعلم أن الاستعاذة بالله هي ملجأ المؤمن، ومفرّه، ومحصنّه من كل مكروه.
· تذكر أن الاستعاذة ليست مجرد كلمات، بل هي حالة روحية تعبر عن ضعف العبد، وحاجته إلى ربه، وثقته بقدرة الله.
· أدرك أن الله هو رب الفلق، أي رب كل شيء، فلا تخف شيئا ً إلا منه، ولا تلجأ إلى غيره، ولا تستعيذ بسواه.
· ثق بأن الله قادر على حمايتك، وكفايتك، ودفع الشر عنك، فاستعذ به، وتوكل عليه.
· اجعل الاستعاذة شعارك في كل وقت، وتذكر أن الله معك، وأنه لا يخذلك، ولا يسلمك إلى أحد.

ثانياً: المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس الكبرى

الموضوع الأول: الارتباط السياقي والموضوعي بين سورة الفلق وسورة الإخلاص وما قبلهما

تمثل سورة الفلق استكمالا ً وتكملة لسورة الإخلاص، وكأنها تطبيق عملي لما تضمنته سورة الإخلاص من توحيد الله، وتنزيهه، وإفراده بالألوهية والربوبية .فسورة الإخلاص تأتي لتثبت في قلب المؤمن العقيدة الصحيحة: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، و﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾، و﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فإذا استقر هذا التوحيد في القلب، وأيقن المؤمن أن الله واحد أحد، لا شريك له، وأنه الخالق المدبر، وأنه لا كفؤ له ولا نظير، جاءت سورة الفلق لتدعو هذا المؤمن الموحّد إلى أن يلجأ إلى ربه، ويستعيذ به من كل شر ، متوكلا ً عليه، معتمداً على قدرته، عالمًا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، ولا معاذ إلا به.

وهذا الترتيب القرآني بديع، فالإخلاص يثبت العقيدة، والفلق يثبت السلوك والتطبيق، فالمؤمن الموحّد بالله هو الذي يستعيذ بالله، ويتوكل عليه، ويثق بقدرته، ولا يخاف أحداً غيره.

ثم تأتي سورة الناس لتكمل هذا المعنى، وتدعو المؤمن إلى الاستعاذة برب الناس، ومالك الناس، وإله الناس، من شر الوسواس الخناس، فالسور الثلاث) الإخلاص، الفلق، الناس (تشكل وحدة متكاملة، تجمع بين توحيد الله، والاستعاذة به، والتوكل عليه، والاعتماد عليه.

دور الاستعاذة في بناء شخصية المؤمن وتحريره من المخاوف

الاستعاذة بالله هي ركن أساسي في بناء شخصية المؤمن، وتحريره من المخاوف الوهمية، ومنها:

· التحرر من الخوف من المخلوقات: الإنسان بطبيعته يخاف من الكثير من المخلوقات: من الحيوانات المفترسة، والحشرات السامة، والجن، والأشباح، والأمراض، والمجاعات، والأعداء .والاستعاذة بالله تعلم المؤمن أن كل هذه المخلوقات مخلوقة لله، ومسخرة له، ولا حول ولا قوة لها إلا بالله، وأن من استعاذ بالله، فقد استعاذ بمن يملكها ويسخرها، ويدفع شرها عنه.
· التحرر من الخوف من السحر والحسد والعين: قد يتعرض الإنسان للسحر أو الحسد أو العين، وقد يخاف من تأثيرها على نفسه أو ماله أو أهله .والاستعاذة بالله من شر هذه المخلوقات، تثبت في قلب المؤمن أن الله هو الحافظ، وأن السحر والحسد والعين لا يضر إلا بإذن الله، وأن الاستعاذة ب الله هي الدرع الحصين والحصن المنيع من هذه الشرور.
· التحرر من الخوف من المجهول: يخاف الإنسان مما لا يعرفه، مما قد يخفى عليه من الأشياء، ک الجن والشياطين، والأمور الغيبية .والاستعاذة بالله تعلم المؤمن أن كل شيء تحت علم الله وقدرته، وأن الله هو العالم بالغيب، وهو الحافظ، وأن من استعاذ به، فهو في أمان وحفظ.
· التحرر من الخوف من المستقبل: يخاف الإنسان مما سيحدث في المستقبل، من مرض، أو فقر، أو موت، أو مصائب .والاستعاذة بالله تعلم المؤمن أن المستقبل بيد الله، وأن الله هو المدبر، وأنه لا يحدث شيء إلا بإذنه، وأن من توكل على الله، وآمن بقضائه وقدره، فهو مطمئن البال، ساكن النفس.

انعكاس الاستعاذة على واقع المؤمنين وسلوكهم

هذا الإحساس باللجوء إلى الله، والاعتصام به، يترتب عليه آثار عميقة في واقع المؤمنين وسلوكهم:

· اليقين والثبات: يملأ قلوبهم يقين بأن الله معهم، وأنه يحميهم، وأنه لا يضيعهم، فيثبتون في وجه التحديات، ولا تهزهم رياح الفتن.
· الأمن والطمأنينة: يشعرون بالأمن والطمأنينة في قلوبهم، فلا تخيفهم المخلوقات، ولا تروعهم الأ حداث، فهم يعلمون أن الله يحفظهم.
· الشجاعة والإقدام: يكتسبون شجاعة وإقداماً، لأنهم لا يخافون إلا الله، فيتجرءون على قول الحق، و الدفاع عن الدين، ومواجهة الأعداء.
· التوكل والاعتماد: يتوكلون على الله، ويعتمدون عليه في كل أمورهم، ولا يتكلون على قواهم أو حولهم، بل يسألون الله العون والتوفيق.
· العمل الصالح: الاستعاذة بالله تدفعهم إلى العمل الصالح، لأنهم يعلمون أن الله يحب المحسنين، وأنه يجزي من يعمل خيراً.

الموضوع الثاني: دلالة "الفلق" وما تحمله من معاني متعددة

دلالة "الفلق" في الآية هي من أعظم دلالات الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، فهي كلمة تحمل في طياتها أبعاداً متعددة، تتسع لتشمل جوانب عديدة من خلق الله، ومنها:

.1الفلق بمعنى الصبح والإصباح:

وهو المعنى الأشهر، فالله هو فالق الإصباح، أي شاق الظلمة عن النور، ومخرج النهار من الليل، كما قال تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: 96]. وهذا المعنى يحمل رسائل عميقة:

· الأمل بعد اليأس: فالصبح يأتي بعد ظلمة الليل، وهو رمز للأمل بعد اليأس، وللفرج بعد الضيق، وللنور بعد الظلمة، فمن استعاذ برب الفلق، يطلب من الله أن يفلق ظلمة الخوف والقلق بنور الأمن والطمأنينة.
· التجديد والبعث: الصبح هو بداية يوم جديد، وفيه تتجدد الحياة، وتنبعث الطاقة، وتتفتح الأزهار، وتستيقظ المخلوقات، فهو رمز للحياة والبعث، وللقدرة الإلهية على إحياء الموتى.
· إظهار قدرة الله: في فلق الصبح تتجلى قدرة الله العظيمة، فهو الذي خلق الليل والنهار، وجعل الليل سكناً والنهار معاشاً، وجعل الشمس والقمر آيتين للعالمين.

.2الفلق بمعنى الخلق كله:

قال بعض المفسرين إن الفلق هو الخلق كله، أي كل ما خلقه الله وأوجده، وذلك لأن الله يفلق كل شيء عن وجوده، ويخرجه من العدم إلى الوجود، ومن الظلمة إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، ومن الغيب إلى الشهادة، ومن الطبيعة إلى الكون .يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "الفلق: الخلق كله" . وهذا المعنى يجعل الاستعاذة شاملة لكل ما خلق الله، وكل ما فيه شر، سواء كان من الإنس أو الجن ، أو الحيوانات، أو الحشرات، أو الظواهر الطبيعية، أو الأمراض، فكل هذه مخلوقات لله، وقد يكون فيها خير وشر، والمؤمن يستعيذ بالله من شرها.

.3الفلق بمعنى فلق الحب والنوى:

وهو المعنى الذي أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: 95]. فالله هو الذي يشق الحبة والنواة، ويخرج منها النبات الأخضر، والحياة الجديدة، وهذا يدل على قدرة الله العظيمة، وعلمه الدقيق، ورحمته الواسعة، وأنه يخرج الحي من الميت، والميت من الحي، وهذا دليل على البعث والنشور.

.4الفلق بمعنى كل ما يفلق وينشق:

وقد فسر بعض العلماء الفلق بأنه كل ما يفلق وينشق في الوجود، كالجبال التي تفلق عن الأنهار، والأرض التي تفلق عن النبات، والسحب التي تفلق عن المطر، والأرحام التي تفلق عن الأجنة، فكلها تدل على قدرة الله وخالقيته.

التوجيه العملي من دلالة الفلق:

· تعلم أن الله هو خالق كل شيء، وأن كل المخلوقات هي تحت قدرته، فاستعذ به من شرها.
· تذكر أن في الفلق - الصبح - نوراً بعد ظلمة، وفرجاً بعد ضيق، وأملاً بعد يأس، فلا تيأس من رحمة الله.
· تذكر قدرة الله في فلق الحب والنوى، وأنه يخرج الحي من الميت، فهو القادر على كل شيء، وأنه سيخرجك من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمة المعصية إلى نور الطاعة.

الموضوع الثالث: الاستعاذة: مفهومها، أطرافها، ودلالاتها

المفهوم اللغوي والاصطلاحي للاستعاذة:

الاستعاذة لغةً: هي طلب العياذ والعوذ، وهو الالتجاء والاعتصام، والحماية والحرز، أي طلب الحماية والوقاية من المكروه، وقد قيل: "عياذاً بالله" أي لجوءاً واعتصاماً، و"أعوذ بالله" أي ألتجئ إليه،

وأتحصن به، وأستجير بجنابه.

الاستعاذة اصطلاحاً: هي الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، والاعتصام بحبله، والاستجارة به، من شر كل ذي شر، ومن كل مكروه ومحذور، وطلب الحماية منه، والوقاية من أضراره، وهي عبادة قلبية وقولية، يتوجه بها العبد إلى ربه، معترفاً بضعفه وعجزه، وحاجته إلى ربه، واثقاً بقدرة الله على حمايته.

أطراف الاستعاذة:

.1المستعيذ) من يستعيذ؟(:

هو الإنسان المؤمن، الذي يشعر بضعفه، ويدرك عجزه، ويعلم أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، فيلجأ إلى ربه، ويستعيذ به من كل شر، والمستعيذ هو النبي ﷺ أولاً ، ثم المؤمنون من بعده، وقد أمر الله النبي أن يقول "قل أعوذ" ليعلم أمته أنها سبيل النجاة .والمستعيذ يكون في حالة من الخوف أو القلق أو الترقب، أو يكون متوقعاً للشر، فيلتجئ إلى ربه، ويسأله الحماية.

.2المستعاذ به) من يستعيذ به؟(:

هو الله سبحانه وتعالى، بصفاته وأسمائه الحسنى، فهو الرب، والمالك، والإله، والخالق، والقادر، و الحافظ، والناصر، والمعين، وهو الذي بيده الضر والنفع، والعطاء والمنع، وهو الذي يدفع الشر، ويجلب الخير، وهو الملجأ والملاذ، ولا ملجأ من الله إلا إليه .وفي قوله "برب الفلق" تحديد للمستعاذ به، وهو رب الفلق، أي رب كل شيء، وخالق كل شيء، ومدبر كل شيء.

.3المستعاذ منه) ممّن يستعيذ؟(:

هو "شر ما خلق" الذي ذكر في الآية الثانية: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، والمستعاذ منه هو كل ما فيه شر من مخلوقات الله، سواء كان من الإنس، أو الجن، أو الحيوانات، أو الحشرات، أو الظواهر الطبيعية، أو الأ مراض، أو الفتن، أو السحر، أو الحسد، أو العين، أو الوساوس، أو الشبهات، أو الأهواء، أو غير ذلك مما قد يضر الإنسان في دينه أو دنياه أو نفسه أو أهله أو ماله.

دلالة الاستعاذة وعمقها الروحي:

· الاعتراف بالضعف: الاستعاذة هي اعتراف من العبد بضعفه وعجزه، وأنه لا يستطيع دفع الشر عن نفسه، ولا حماية نفسه من المكاره، وأنه بحاجة إلى قوة أعلى منه، وهي قوة الله.
· الإقرار بالتوحيد: الاستعاذة هي إقرار بأن الله هو القادر وحده، وأنه هو النافع الضار، وأنه هو الذي بيده الأمر كله، وأنه لا حول ولا قوة إلا به، وهذا من صميم التوحيد.
· التوكل على الله: الاستعاذة هي تجسيد للتوكل على الله، والاعتماد عليه، والثقة بقدرته وحكمته، وأنه يحفظ عباده، ويصونهم، ويكفيهم.
· الطمأنينة والسكينة: الاستعاذة تبعث في القلب الطمأنينة والسكينة، لأن العبد يشعر بأنه في حفظ الله ورعايته، وأن الله معه، وأنه لا يخاف شيئاً مع الله.

الاستعاذة كما قال ابن القيم:

يقول ابن القيم رحمه الله: "الاستعاذة هي الالتجاء إلى الله، والالتصاق بجنابه، من شر كل ذي شر، و العياذ يكون لدفع الشر، والاستعاذة لطلب الخير" .فالمستعيذ يطلب من الله أن يعيذه، أي يحفظه ويصونه، وأن يجيره من كل مكروه، وأن يدفع عنه شر ما يخافه.

وبين ابن القيم الفرق بين العياذ والاستعاذة، فقال: "العياذ يكون لدفع الشر، والاستعاذة لطلب الخير"، ف العياذ هو أن يطلب العبد من الله أن يدفع عنه الشر، والاستعاذة هي أن يطلب منه أن يعطيه الخير، وكلاهما من صميم الدعاء والعبادة.

الموضوع الرابع: مفهوم الشر في المخلوقات ودلالته

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

هذه الآية الكريمة تثبت حقيقة مهمة: أن في المخلوقات شراً، وأن هذا الشر موجود في خلق الله، ولكن هذا لا يعني أن الله خلق الشر محضاً، بل الشر موجود في المخلوقات، وفي أفعالها، وفي طبيعتها، وفي تركيبها، ولكن الله خلقها لحكمة بالغة، وقد يكون في خلقها خير كثير، ولكن قد يكون فيها شر جزئي، أو شر نسبي، أو شر عارض.

مفهوم الشر في المخلوقات:

1. الشر ليس خلقاً مستقلاً: الشر ليس مخلوقاً بذاته، بل هو أمر عارض، أو هو عدم خير، أو هو نقص في المخلوقات، فالحيوان المفترس خلقه الله لحكمة، منها: توازن النظام البيئي، ولكن في هجومه على الإنسان شر، وهذا الشر ليس من خلق الله المباشر، بل هو من طبيعة هذا الحيوان، وقد سخر الله الحيوانات للإنسان، ولكن قد يحدث منها أذى.
2. الشر نسبي: قد يكون الشيء شراً لشخص، وخيراً لآخر، وقد يكون شراً في ظرف، وخيراً في ظرف آخر، والله تعالى هو العالم بالخير والشر، وهو الذي يقدر الأمور بحكمته.
3. الشر في بعض المخلوقات: الله قد زود بعض المخلوقات بقوة شر، وبعضها بقوة خير، فالإبل مثلاً هي خلق عظيم، سخرها الله للإنسان للركوب والحمل والأكل والشرب، ولكن قد يكون فيها شر إذا هاجمت أو عضت، وكذلك الأسود والنمور، والثعابين والعقارب، والحشرات المؤذية.
4. الشر في المخلوقات الخفية: هناك شر في المخلوقات التي لا نراها، كالجن والشياطين، والسحرة، و الحاسدين، والعائن، وغيرهم، وهذه الشرور قد تكون أخطر من الشرور الظاهرة، لأنها خفية وغير محسوسة، وقد تؤثر في الإنسان دون أن يشعر.
5. الشر في النفس البشرية: قد يكون الشر في النفس البشرية نفسها، كما قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الشمس:7 -8، فالنفس فيها خير وشر، وفيها تقوى وفجور، والإنسان مسؤول عن تهذيب نفسه، وتزكيتها، وكبح جماحها عن الشر.

كيف تستعيذ من شر ما خلق؟

الاستعاذة من شر ما خلق هي استعاذة شاملة لكل ما خلقه الله من شر، وهي تشمل:

- الاستعاذة من شر الجن والشياطين: ومن وساوسهم، وكيدهم، وإيذائهم، وتلبيسهم، وإضلالهم.
- الاستعاذة من شر الإنس: من ظلمهم، وعدوانهم، وكيدهم، ومكرهم، وحسدهم، وبغيهم.
- الاستعاذة من شر الحيوانات: من هوام الأرض، ودوابها، وما يؤذي منها.
- الاستعاذة من شر الأمراض: من الأمراض الجسدية والنفسية، والأوبئة، والآلام.
- الاستعاذة من شر الفتن: من فتن الدنيا، وفتن الدين، وفتن الشهوات، وفتن الشبهات.
- الاستعاذة من شر الحسد والعين والسحر: مما قد يصيب الإنسان من هذه الأمور.
- الاستعاذة من شر الظلمات: من ظلمة الكفر، والجهل، والذنوب، والمعاصي.

التوجيه العملي:

- تذكر أن كل شر في الوجود إنما هو من خلق الله، ولكن الله لم يخلق الشر محضاً، بل خلقه لحكمة بالغة، وقد يكون في الشر خير لمن يعقل.
- أدرك أن الاستعاذة بالله من شر ما خلق، هي اعتراف بأن الله هو الحافظ، وأنه هو القادر على دفع الشر، وأنه لا ملجأ من الشر إلا إليه.
- استعذ بالله من كل شر، في كل وقت، وفي كل حال، وتيقن أن الله سيجيرك، ويحفظك، ويكفيك.

الموضوع الخامس: الصورة البيانية للمستعيذ وتحرير الإنسان من المخاوف

الصورة البيانية للمستعيذ:

تصور لنا الآية الكريمة صورة بيانية رائعة للمستعيذ، فهو كالإنسان الهارب، أو الخائف، أو الضعيف، الذي لا يجد منجى من الخطر إلا باللجوء إلى من هو أقوى منه، وأعظم قدرة، وهو الله تعالى.

فالمستعيذ: يفر من شر المخلوقات، إلى خالق المخلوقات، يفر من خوفه إلى من يزيل خوفه، يفر من ضعفه إلى من يعينه، يفر من شره إلى من يدفع عنه الشر، فهو كمن يركض إلى حصن حصين، يلوذ به، ويستجير بجنابه، ويلتصق به، ليكون في أمان من كل مكروه.

وهذه الصورة تعبر عن حالة نفسية عميقة، هي حالة الضعف والاحتياج، والتوكل والاعتماد، واللجوء وا لاستجارة، وهي حالة تجعل العبد يشعر بأنه ليس وحيداً، بل معه ربه، وأنه ليس ضعيفاً، بل يستمد القوة من ربه، وأنه ليس خائفاً، بل يجد الأمان في ربه.

تحرير الإنسان من المخاوف:

جاء القرآن الكريم ليحرر الإنسان من كل المخاوف التي حاول الكثيرون استغلالها لجعل الإنسان تحت سيطرتهم، فكانوا يخوفون الإنسان من الجن والأشباح والأرواح الشريرة، ويخوفونه من السحر والحسد والعين، ويخوفونه من القوى الخفية، ويخوفونه من المستقبل المجهول، ويخوفونه من الموت والفناء، ويخوفونه من كل شيء، لكي يبقى خائفاً ضعيفاً، مستسلماً لهم، تابعاً لأوامرهم.

وجاء القرآن ليحرر الإنسان من هذه المخاوف كلها، بأمره بالاستعاذة بالله، والإيمان بأن كل هذه المخلوقات هي مخلوقة لله، ومسخرة له، ولا حول لها ولا قوة إلا به، وأن من استعاذ بالله، فقد استعاذ بمن يملكها، ويسخرها، ويدفع شرها عنه، وأنه لا خوف على من كان معه الله، فالله هو الحافظ، والناصر، والمعين.

كيف يعالج القرآن الخوف من المخلوقات؟

1. تثبيت العقيدة: يثبت القرآن في قلب المؤمن أن الله هو الخالق لكل شيء، وأن كل المخلوقات مسخرة له، وأنه لا حول ولا قوة إلا به، فإذا أيقن المؤمن ذلك، زال خوفه من المخلوقات.
2. الأمر بالاستعاذة: يأمر القرآن المؤمن أن يستعيذ بالله من شر كل مخلوق، فيتحصن به، ويستجير بجنابه، ويعلم أن من استعاذ بالله، فهو في حفظه ورعايته.
3. التوكل على الله: يدعو القرآن المؤمن إلى التوكل على الله، والاعتماد عليه، والثقة بقدرته، فمن توكل على الله فهو حسبه، وكفاه، ودفع عنه كل سوء.
4. ذكر الله: يذكر القرآن المؤمن بذكر الله، فهو من أعظم أسباب الأمن والطمأنينة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:28].
5. اليقين بأن الله هو النافع الضار: يثبت القرآن أن الله هو النافع الضار، وأنه لا يضر أحد إلا بإذنه، ولا ينفع أحد إلا بإذنه، فمن كان مع الله، كان الله معه، وكان في حفظه وأمانه.

التناسب بين سورة الفلق وسورة الإخلاص:

هناك تناسب عجيب بين سورة الفلق وسورة الإخلاص، فسورة الإخلاص تثبت التوحيد، وتنفي الشرك، وتثبت أن الله أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وسورة الفلق تبني على هذا التوحيد، وتدعو المؤمن إلى الاستعاذة بالله، واللجوء إليه، والاعتماد عليه، والثقة بقدرته، فالتوحيد هو الأساس، والاستعاذة هي التطبيق، والإخلاص هو العقيدة، والفلق هو السلوك، والإخلاص يبني القلب، والفلق يحمي القلب.

ويمكن القول إن سورة الإخلاص هي "توحيد الربوبية والألوهية"، وسورة الفلق هي "توحيد العبادة وا لاستعاذة"، وسورة الناس هي "توحيد الحماية والاعتصام".

الموضوع السادس: قوة المخلوقات وتسخيرها للإنسان

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾

في هذه الآية إشارة إلى أن الله خلق مخلوقات، وجعل فيها قوة شر، ولكن هذه المخلوقات على عظمتها وقوتها، هي مسخرة للإنسان، ولا تضر إلا بإذن الله، ولو شاء الله لأهلك الإنسان بها، ولكن الله رحم عباده، وسخر لهم هذه المخلوقات، وجعل لهم القدرة على التعامل معها، وأمرهم بالاستعاذة به من شرها.

تسخير المخلوقات للإنسان:

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ [الجاثية:13] ، وقال: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ [الجاثية:12] ، وقال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾

]الزمر:[6 ، وقال: ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾] النحل:.[5

فاللّه خلق كل هذه المخلوقات، وسخرها للإنسان، وجعلها في خدمته، ومنفعته، وقد يحدث منها ضرر ، ولكن اللّه أمر الإنسان أن يستعيذ به من هذا الضرر، ويطلب منه الحماية.

قوة المخلوقات لا تستقل بذاتها:

الإبل على عظمتها، والأسد على قوته، والفيل على ضخامته، والثعبان على سميته، كل هذه المخلوقات لا تستطيع أن تضر الإنسان إلا بإذن اللّه، وهي مسخرة لخدمة الإنسان، وليس بقوتها الذاتية، بل بقدرة اللّه الذي خلقها، وسخرها، ولو أراد اللّه أن يمنعها عن الإنسان، لمنعها، ولو أراد أن يجعلها تضر به، لأضرته.

التوجيه العملي:

· تذكر أن كل قوة في الوجود هي من اللّه، وأن المخلوقات ليست مستقلة بذاتها، بل هي مسخرة لله ، وأنه لا يستطيع أحد أن يضرك إلا بإذن اللّه.
· لا تخف من قوة المخلوقات، فكلها تحت قدرة اللّه، ومن استعاذ باللّه، فقد استعاذ بمن يملكها ويسخرها.
· ثق بأن اللّه قادر على حمايتك من كل شر، ومن كل مخلوق، مهما كانت قوته، ومهما كان ضخامته، ومهما كان سميته.
· توكل على اللّه، واستعذ به، وتذكر أن اللّه هو الحافظ، والمعين، والناصر.

الموضوع السابع: رسائل سورة الفلق وتوجيهاتها للمؤمنين

الرسالة الأولى: الاستعاذة باللّه هي سبيل النجاة

اللّه يأمر نبيه والمؤمنين أن يستعيذوا به، وأن يلجأوا إليه، وأن يعتصموا بحبله، وأن يطلبوا منه الحماية والوقاية من كل شر، فهي أعظم وسيلة للنجاة من المكاره، ومن كل ما يخاف الإنسان.

الرسالة الثانية: اللّه هو الملجأ والملاذ

لا ملجأ من اللّه إلا إليه، ولا معاذ إلا به، ولا حافظ إلا هو، ولا ناصر إلا هو، فمن أراد الأمان، فليؤمن باللّه، ومن أراد الحماية، فليستعذ باللّه، ومن أراد النجاة، فليلجأ إلى اللّه.

الرسالة الثالثة: الشر في المخلوقات لا يستقل عن إرادة اللّه

اللّه خلق المخلوقات، وجعل فيها خيراً وشراً، ولكن الشر لا يقع إلا بإذن اللّه، وبحكمته، وبقضائه، و المؤمن يستعيذ باللّه من شرها، ويدفعها بالاستعاذة، والتوكل، والدعاء.

الرسالة الرابعة: القرآن يحرر الإنسان من الخوف

القرآن يعلم الإنسان أن لا يخاف إلا اللّه، وأن كل المخلوقات مخلوقة لله، ومسخرة له، وأن من كان مع اللّه، فلا خوف عليه، ولا حزن، وأن الاستعاذة باللّه هي الطريق إلى الأمن النفسي، والطمأنينة القلبية.

الرسالة الخامسة: الاستعاذة باللّه تعالج الخوف من المخلوقات

الاستعاذة باللّه تعالج الخوف من المخلوقات، وتحول الخوف من الخلق إلى الخوف من الخالق، ومن الخوف من المخلوقات إلى التوكل على اللّه، والثقة به، والاعتماد عليه.

الرسالة السادسة: الإخلاص أساس الاستعاذة

الاستعاذة الصحيحة لا تكون إلا بتوحيد اللّه، والإخلاص له، والاعتقاد بأنه لا إله إلا هو، وأنه لا شريك له، وأنه هو النافع الضار، وأنه هو المعطي المانع، وهذا ما تضمنته سورة الإخلاص، التي تسبق

سورة الفلق.

الرسالة السابعة: الاستعاذة واللجوء إلى الله يورثان القوة

من استعاذ بالله، وتوكل عليه، واعتمد عليه، فإن الله يمنحه القوة، والشجاعة، والإقدام، والثبات، ويجعله لا يخاف أحداً إلا الله، ولا يلتجئ إلى غيره.

خاتمة: نحو حياة قائمة على الاستعاذة واللجوء إلى الله

أيها المؤمن، هذه الآية الكريمة من سورة الفلق هي دعوة صريحة لك، لتستعيذ بالله، وتلجأ إليه، وتعتصم بحبله، وتطلب منه الحماية والوقاية من كل شر، ومن كل مكروه، ومن كل ما يخيفك ويقلقك.

تذكر أن الله هو رب الفلق، أي رب كل شيء، وخالق كل شيء، ومدبر كل شيء، ومن استعاذ به، فقد استعاذ بمن بيده مقاليد السموات والأرض، ومن لا يعجزه شيء، ومن هو على كل شيء قدير.

تذكر أن في المخلوقات شراً، ولكن هذا الشر لا يضر إلا بإذن الله، ومن استعاذ بالله من شر المخلوقات، فقد لجأ إلى من يحميه، ويكفيه، وينصره.

تذكر أن القرآن جاء ليحررك من كل المخاوف التي يحاول المشركون والمخوفون استغلالها لتسييرك، وليجعلك تعتمد على الله وحده، وتستعيذ به وحده، وتتوكل عليه وحده.

تذكر أن الاستعاذة بالله هي طريق الأمن، وسبيل النجاة، ومنهج الطمأنينة، وأن من استعاذ بالله، كان الله معه، وفي حفظه ورعايته، فاستعذ بالله، وتوكل عليه، ولا تخف شيئاً إلا الله.

اجعل الاستعاذة بالله شعارك في كل وقت، وفي كل حال، وتذكر أنها من أعظم العبادات، وأجل القربات، وأسباب النجاة، ومداخل الخيرات، ومفاتيح البركات.

أخلص نيتك لله، واستعذ به من شر ما خلق، وتوكل عليه، ولا تخف إلا منه، وكن من الذين آمنوا واستعاذوا، وتوكلوا، ففازوا بالأمن في الدنيا والآخرة.

ثانيا

تفسير الآية الثالثة من سورة الفلق

﴿مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾

المقدمة: من عموم الخلق إلى خصوصية الليل... حين تتربص الشرور في أحضان الظلام

بعد أن عمّم الله سبحانه وتعالى الاستعاذة في الآية الأولى لتشمل ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، جاءت هذه الآ ية لتخصص وتفصّل، ولتلفت انتباه المؤمن إلى أخطر الأوقات وأكثرها إيحاءً بالخوف والتربص، ألا وهو زمن الليل بظلمته الدامسة، حيث تتوارى الأنظار، وتختلط الرؤى، وتنطلق المخلوقات المؤذية من مكامنها، وتتحرك الشياطين والنفوس الأمارة بالسوء في خفاء. وكأنما يرسم القرآن لوحةً كونيةً مهيبة، تنتقل فيها عدسة التصوير الإلهي من المشهد العام للخلائق إلى مشهد خاص مرعب: الليل الدافق بظلا مه، الممتلئ بشروره، المثير للرعب في قلوب الضعفاء.

واللافت في هذه الآية أنها لم تكتف بالتعميم، بل جاءت بالتخصيص والتقييد الوصفي، إشارة إلى أن الشر ليس في أصل الخلق، ولا في ذوات المخلوقات كلها، فهناك مخلوقات لا شر فيها كالملائكة والأ نبياء والصديقين والجنة، بل الشر مقصور على أوصافٍ معينةٍ، وأزمنةٍ خاصةٍ، ومخلوقاتٍ محددةٍ تتلبس بالشر وتفعله. فالاستعاذة الأولى كانت عامةً احترازيةً، وهذه الاستعاذة الثانية جاءت تفصيليةً تحذيريةً، ترشد العبد إلى أن يتسلح باللجوء إلى الله في تلك الساعات التي تكتظ فيها بوابات الشر وتنفتح فيها مغاليق الفتن.

ثم جاء لفظ ﴿غَاسِقٍ﴾ حاملا ً في معناه الدافقَ المتدفقَ كالماء الغزير، ليس مجرد ظلام ساكن، بل ظ

لام دافق، ينساب وينتشر كالسيل الجارف، ويغمر كل شيء بثقل وكثافة، وهو تشبيه بليغ يدل على قوة الزحف الظلامي الذي لا يردعه شيء. وجاء لفظ ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ ليكمل المشهد، حيث يدخل الليل في كل شيء، ويتغلغل في الأجساد وفي النفوس، ويحجب الأبصار، ويُصيّر المرئيات غير مرئية، ويفتح الأبواب لكل ما هو مؤذٍ ومخيف ومريب.

إنها آية تهز كيان الإنسان، وتذكره بأن الكون ليس كله أمانًا، وأن هنالك أوقاتًا تزداد فيها حدة الشر، وتنشط فيها قوى الإيذاء، وأن على العبد أن يفر إلى ربه في تلك اللحظات العصيبة، وأن يلوذ بجنابه من شر ما يكمن تحت جنح الظلام الدامس.

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق للآية

﴿مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾

التحليل اللغوي:

﴿مِنْ﴾: حرف جر للتبعيض أو لبيان الجنس، وهي هنا لبيان نوع الشر المستعاذ منه، وقد جاءت بعد ا لاستعاذة العامة في الآية الأولى لتخصص وتعيّن .فلم يقل "من شر ما خلق" فقط، بل عقبها بهذه الآ ية لتحديد أهم صور الشر التي تتفق في هذا الظرف الزماني المحدد.

﴿شَرِّ﴾: اسم مجرور بمن، والشر هو كل ما يسوء الإنسان ويؤذيه، في دينه أو دنياه، في نفسه أو ماله أو أهله .وهو نقيض الخير، والاستعاذة تكون من الشر لدفعه، وطلب الخير لتحصيله.

﴿غَاسِقٍ﴾: اسم مجرور بالإضافة، وغاسق في اللغة له معانٍ متعددة، وكلها تصب في معنى الدفقة والا متلاء والظلمة:

· المعنى الأول: الليل إذا أظلم، قال ابن قتيبة: "الغاسق: الليل إذا اشتدت ظلمته"، فهو الزمن الذي تغيب فيه الشمس وتسيطر الظلمة على الأفق.
· المعنى الثاني: الليل الدافق بظلمته كالماء الدافق، وهو مأخوذ من الغسق وهو السيلان والتدفق، كأن الظلام يتدفق وينساب في الكون كالماء المنهمر.
· المعنى الثالث: القمر إذا خسف ودخل في ظلمة الخسوف، وقيل غروب الشمس إذا دخل في الغسق أي الظلمة.
· المعنى الرابع: الثريا إذا سقطت في المغرب، وهي منازل الشدة والحر.
· المعنى الخامس: كل ما يكره ويخاف منه من الظلام الحالك.

والراجح في تفسيرها: الليل المظلم المتراكم الدافق بظلمته، الذي يملأ الأرجاء ويسد الأفق ويغطي الكون.

﴿إِذَا﴾: ظرف زمان للمستقبل، وتفيد العموم والاستغراق، أي كلما وقع وحدث، وليس لمرة واحدة، فهي ظرفية شرطية تفيد التكرار، أي يستعيذ المؤمن من شر الليل كلما أقبل وأظلم ودبّ بدبوبه.

﴿وَقَبَ﴾: فعل ماض، والوقب في اللغة يدل على الدخول والتغلغل، والاستتار، ومنه وَقَبَ الشيء أي دخل واستتر، وقيل "الوقب" هو النقرة في الجبل أو الصخرة يسيل منها الماء، وكأن الليل كالماء ينساب من نقرة الجبل فينتشر ويملأ الكون .وقيل "وقب" بمعنى غطى وأظلم، كما يقال: وقب الليل إذا دخل بظلمته وغمر كل شيء.

المفهوم العميق:

.1التخصيص بعد التعميم) التقييد الوصفي(:

هذا هو السر البلاغي الأكبر في الآية. فالاستعاذة في الآية الأولى كانت عامة وشاملة: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، وهذا العموم يشمل كل مخلوق، ولكن ليس كل مخلوق فيه شر، فالملائكة خير محض، والأنبياء خير، والجنة خير، والمسلمون الصالحون خير. ولهذا جاء التخصيص في الثانية لتقييد هذا العموم بـ الوصف الذي يتحقق فيه معنى الشر، وهو "غاسق إذا وقب". وهذا يدل على أن الشارع الحكيم لم يرد الاستعاذة من كل خلق الله مطلقاً، بل أراد الاستعاذة من المخلوقات التي فيها صفة الشر، أو التي

تحدث في زمنٍ يكون الشر فيه أكثر ظهوراً وانتشاراً.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله: "المراد بالتقييد الوصفي هو بيان أن الشر ليس في الذوات، بل في الأوصاف والأفعال". فالله لم يخلق الشر محضاً، بل خلق المخلوقات وقد يعتريها الشر، وقد يحدث منها شر، فالاستعاذة تكون من الشر الذي يقوم بهذه المخلوقات، أو الشر الذي يتولد من أفعالها، أو الشر الذي يحدث في هذه الأزمان.

.2الغاسق: الظلام الدافق المتدفق:

في كلمة "غاسق" من الدلالات البلاغية ما يصور الليل وكأنه ماء غزير يفيض وينهمر على الكون، يملأ الأودية والوديان، ويغمر كل شيء، وكأن الظلام سائلٌ أسود ينساب من الأفق الشرقي إلى الغربي، يطمس الألوان، ويختزل الأشكال، ويحجب الرؤية. وهذا التصوير يحمل دلالة القوة في زحف الظلام، فلا يمكن مقاومته أو منعه، وكأنه لا بد أن يحل ويغطي، فهو حتمي وقوي، وهذه الحتمية تجعل الخوف منه مضاعفاً، إذ لا يمكن للبشر أن يوقفوا قدوم الليل أو يحجبوا ظلامه.

.3الوقب: النقرة المتدفقة والاستتار التام:

كلمة "وقب" تصور دخول الليل في كل شيء كالماء في حفر الجبال، أو كالنقرة التي تملأ بالماء فتغمر كل ما حولها، فالليل يدخل في كل خَلَل، وينفذ إلى كل زاوية، ويخترق كل حجاب، ولا يبقى شيء مرئياً على حقيقته، كل شيء يختلط ويضيع في السواد الدامس. وهذا الاستتار التام هو أرض خصبة للشرور، فحين تغيب الرؤية، تغيب المراقبة البشرية، وتنشط المتربصات، وتتوارى الحيل و المكائد.

.4التخصيص بالليل دلالة على أهميته في الشر:

اختيار الليل بالذات من بين كل الأزمان، دليل على أنه زمانٌ تتضاعف فيه الشرور، وتتاح فيه الفرص للأشرار، وتنطلق فيه المخلوقات المؤذية التي تختبئ بالنهار، وتثور فيه الهموم والوساوس. ولذلك قال النبي ﷺ: "إذا جنّ الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم" (رواه البخاري). فالليل هو مملكة الشياطين وساحة حربهم على بني آدم.

ثانياً: المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس الكبرى

الموضوع الأول: دلالة التخصيص بعد التعميم (التقييد الوصفي)

لقد ذكرنا أن الآية الأولى عممت، وهذه خصصت، وهذه إحدى دقائق البيان القرآني العظيم، فلم يأتِ التخصيص لإلغاء العموم، بل لتحديد أهم صوره، ولبيان أن الشر ليس في الذوات المخلوقة، بل في الصفات والأفعال والأوقات.

دروس التخصيص:

· عدالة الله: الله لم يخلق شيئاً شراً بذاته، فالشر عارض، والخلق كله في أصله خير، كما قال تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ السجدة:[7 ، فذات المخلوقات حسنة، ولكن قد تنشأ عنها شرور.
· الدقة في الاستعاذة: تعلم المؤمن أن لا يستعيذ استعاذةً عشوائية، بل يخصص ويحدد، ويلجأ إلى الله من كل ما يخافه، مستحضراً أوصاف الشر ومواقعه وأزمانه.
· التدبر في خلق الله: هذه التخصيصات تدعو المؤمن إلى التأمل في خلق الله، ومعرفة أوقات الخير والشر، وأزمان النشاط والركود، ليستعد ويحتمي بما شرع الله من أذكار واستعاذات.
· أن الشر نسبي: ليس كل ما يخافه الإنسان شراً مطلقاً، فقد يكون فيه خير، ولكن الاستعاذة بالله من شر بعض المخلوقات وأفعالها هو من باب الحذر والحماية.

الموضوع الثاني: التصوير البلاغي للغاسق والوقب (ظلام الليل الدافق)

القرآن يرسم بألفاظه القليلة صورةً بيانيةً لا مثيل لها، كأنك ترى الليل بأم عينيك في كل تفاصيله:

.1الليل كالسيل الجارف:

تخيل معي مشهداً: كأن الظلام مادة سائلة ثقيلة تبدأ بالتدفق من الأفق الشرقي بعد غروب الشمس، تنساب ببطء، ثم تتسارع، ثم تغمر كل شيء، تلتف حول الجبال، وتغطي السهول، وتعج في الوديان، وتغرق البيوت، وتختفي معالم الطرق، لا يرى الإنسان شيئاً إلا سواداً متراكماً. هذا هو "غاسق" في أبلغ معانيه، وكأن الليل ليس مجرد غياب للضوء، بل هو حضور مادي ثقيل يضغط على الأجساد ويغمر النفوس.

.2الوقب: النقرة التي لا تنضب:

وشبه دخول الليل بوقب الماء من نقرة الجبل، والنقرة هي الخرق أو الشق في الصخر ينبع منه الماء، والماء ينبع بقوة ويستمر، ولا يمكن سده أو منعه. فالليل كذلك، يأتي بقوة ولا يرده شيء، ويمتد زمانه لساعات طويلة، وكثافته تشبه غزارة الماء التي لا تنقطع. وكلما طال الليل زادت فرص الشرور أن تتسلل إلى النفوس والمجتمعات.

.3الاستتار التام) إذا وقب(:

عندما يدخل الليل بظلمته، يستتر كل شيء، فلا ترى ما أمامك، ولا تعرف ما خلفك، ولا تميز بين الصديق والعدو، ولا بين الصحيح والسقيم، ولا بين الآمن والخطر، فيتحول العالم إلى فضاء من المجهولات التي تثير الرعب في النفوس، وتخلق بيئة خصبة للشر.

دلالات هذا التصوير البياني:

· إيقاظ الخوف الإيجابي: الصورة ترعب القلب، ولكنها ترعبه رعباً يدفعه إلى الله، لا إلى اليأس أو الا ستسلام، فهي تذكيره بأن هناك خطراً حقيقياً، وأن الحماية ليست إلا من الله.
· إظهار عظمة الله: بينما يغمر الليل الكون كله، يظل الله هو النور الذي لا ينطفئ، وهو الذي يفلق الإ صباح ويذهب الظلام، فهو القادر على تبديد هذا السواد، وحماية عباده منه.
· إعداد النفس لمواجهة الشر: حين يعلم الإنسان أن الليل هو زمن التربصات والشرور، يستعد بحصن ا لاستعاذة والأذكار، ويحترس مما قد يكمن في الظلام.

الموضوع الثالث: الأشرار والشرور التي تأتي مع ظلمة الليل

حين يحل الظلام الدافق، وتغطي العتمة كل شيء، تنشط مجموعة من الشرور التي تهدد الإنسان في دينه ودنياه ونفسه، ومنها:

.1الشرور الحسية المادية) المخلوقات المؤذية(:

· الحيوانات المفترسة: الأسود، الذئاب، الضباع، والكلاب الضالة التي تنشط ليلا ً للصيد والتربص.
· الزواحف السامة: الثعابين والعقارب التي تخرج من جحورها ليلا ً لأنها تكره حرارة النهار، وتنشط في الظلام البارد.
· الحشرات المؤذية: البعوض، الناموس، البراغيث، والعقارب، والحشرات التي تلدغ وتؤذي، وكثير منها يظهر في الليل.
· الأعداء واللصوص: العدو المتربص، والغادر، واللص، والسارق، كلهم يختارون الليل لتنفيذ مكائدهم، لأ نه ساتر لهم، ومخفي لأفعالهم.

.2الشرور المعنوية والنفسية:

· الهواجس والخوف المرضي: النفس البشرية في الليل، وخاصة في ساعات السحر، تكون عرضة للقلق والوساوس، وتتضخم المخاوف الصغيرة، وتتحول إلى كوابيس ترعب الإنسان.
· الشرور النفسية الذاتية: الأحزان، الاكتئاب، الأفكار الانتحارية، الأوهام، والهلاوس التي تزيد في ليالي الظلام.
· الشهوات المحرمة: الليل هو زمن الخلوات، وفيه تتحرك الشهوات، وتتزين المعاصي، وتقع المحرمات التي لا تجهر فيها الأنظار كالزنا والسرقة وشرب الخمر.

· تزيين الشيطان: يقول إبليس: أهلكتهم بالكبائر، وأهلكتهم بالصغائر، ولكن الليل هو وقت وسوسته التي لا تراها العيون، فيزين للإنسان الجرائم والمعاصي في خفاء الظلام، ويقول له: لا يراك أحد، فافعل ما تشتهي.

.3الشرور الاجتماعية:

· الجرائم الكبرى: القتل، السرقة المسلحة، التعدي على الأعراض، الغارات، كلها ترتكب في أغلب الأحيان تحت جنح الظلام.
· الفتن والنمائم: الاجتماعات السرية، والتآمر على الناس، ونشر الإشاعات، والتخابر، كلها تكون في الليل حين تخلو السبُل وتختفي الرقابة المجتمعية.

.4شرور الغيب والشياطين:

· الليل هو زمان انتشار الشياطين، كما أخبر النبي ﷺ، حيث تخرج مردة الجن، وتكثر الوساوس، ويتم إغواء بني آدم بطرق خفية لا يدركونها.
· ولهذا شرع الله أذكار النوم والاستيقاظ، وأذكار الليل، لتكون حصناً للعبد من تسلط الشياطين وإغوائهم.

الموضوع الرابع: الفرار إلى الله (اهربوا إلى الله)

تصور لنا الآية مشهداً مرعباً: إنسان واقف في فضاء موحش، يحاصره الظلام الدافق من كل جانب، ويحوط به كل ما يخيف ويؤذي. في هذه اللحظة، ماذا يفعل؟ أين يهرب؟ ماذا يفعل بقوته الضعيفة أمام هذه الزواحف والوحوش والأعداء والشياطين التي تتربص به؟

الجواب القرآني واضح وصريح: يفر إلى الله، ويلجأ إليه، ويستعيذ به.

معنى الفرار إلى الله:

الفرار إلى الله يعني ترك كل سبب سوى الله، وقطع التعلق بكل قوة سواه، والتوجه إليه وحده بـ الدعاء والاستعاذة، والاعتراف بأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، وأنه لا حافظ ولا ناصر ولا معين إلا هو.
الفرار إلى الله هو حركة القلب من الخوف إلى الأمان، ومن الضعف إلى القوة، ومن الوحشة إلى الأ نس، ومن الليل الموحش إلى نور الله.

كيف يفر المؤمن إلى الله من شر الغاسق؟

.1استحضار عظمة الله: يتذكر أن الله هو الذي خلق هذا الليل، وهو الذي يسلط الظلام، وهو الذي يذهب به، وأنه لو شاء لأذهب ظلمته في لحظة.
.2التوكل على الله: يعلم أن الله هو الحافظ، وهو الذي يحميه من كل شر، وأنه إذا استعاذ به، أجابه وحماه وكفاه.
.3الإكثار من الأذكار: أذكار المساء، وأذكار النوم، وقراءة آية الكرسي، والمعوذات، و سورة الإخلاص، كلها حصون منيعة.
.4الدعاء والتضرع: يرفع يديه إلى الله، ويستجير به، ويسأله أن يعيذه من شر ما في هذه الليلة، ومن شر كل مخلوق فيها.
.5الثبات على الطاعة: يحافظ على صلاته، وخاصة صلاة العشاء والفجر، فهما حصنان في وجه الشياطين.
.6إطفاء النيران وإغلاق الأبواب: كما أمر النبي ﷺ في الأحاديث، فإن اتخاذ الأسباب المادية مع الا ستعاذة الروحية يكمل الحماية.

العبرة من الفرار إلى الله:

إن الله تعالى عندما يذكرنا بهذه الأخطار، إنما يريد أن يحررنا من الخوف من المخلوقات، وأن يربط قلوبنا به وحده، وأن يجعلنا لا نخاف إلا منه، ولا نلجأ إلا إليه، ولا نستعين إلا به، وهذا هو تمام التوحيد وكمال العبودية.

ثالثاً: الربط بين الآية والواقع المعاصر

الغاسق في عصرنا... ظلام الليل الحديث

في عصرنا الحالي، لم يختفِ شر الليل، بل تبدلت أشكاله وتنوعت أسبابه:

1. الجرائم الإلكترونية: الكثير من الجرائم والاحتيالات والقرصنة تتم في ساعات الليل المتأخرة، حيث يقل اليقظة وتغيب الرقابة.
2. الاكتئاب والأرق: الدراسات تشير إلى أن ساعات الليل المتأخرة هي أكثر أوقات التفكير السلبي، والانتحار، والانهيارات النفسية.
3. الفساد الخلقي: انتشرت في ليالي العصر الحالي برامج الهواتف والتطبيقات التي تسهل ارتكاب المعاصي في الخفاء، وتغري الشباب والفتيات في ظلمة الغرف المغلقة.
4. تسلط الشياطين عبر الوسائط: صار الشيطان يوسوس للإنسان عبر كل وسيلة اتصال في الليل، فيغرره ويغويه.

كيف نستعيذ اليوم من شر الغاسق؟

- بالأذكار الشرعية التي علمنا إياها النبي ﷺ.
- بالابتعاد عن الوحدة المفرطة في الليل، والجلوس مع الأهل والصحبة الصالحة.
- بقراءة القرآن وتدبره، فهو نور يبدد ظلمة الليل والقلب.
- بالنوم المبكر، فهذه سنة نبوية، وفيها سلامة من كثير من شرور الليل.
- بالاستغفار والتوبة، فالتائبون يحبهم الله، والتوبة تمحو الذنوب التي تجلب الهموم والكروب.

رابعاً: الخاتمة النهائية (الرسالة الجامعة)

هذه الآية الكريمة من سورة الفلق تحمل في طياتها رسائل عظيمة، ودروساً عميقة، تعالج أخطر قضايا الإنسان المعاصر:

الرسالة الأولى: الاستعاذة بالله من شر الغاسق هي ملجأ كل خائف

الليل بظلمته وتدفقه، وبما يحمله من شرور وتربصات، هو امتحان للإيمان، واختبار للتوكل، فمن استعاذ بالله، كان الله معه، وحفظه من كل سوء.

الرسالة الثانية: الليل ليس كله راحة، بل هو زمن خطر وامتحان

ينبغي للمؤمن ألا ينام غافلاً، ولا يترك نفسه عرضة للشرور، بل يتحصن بالأذكار، ويستعين بالله، ويراقب نفسه، ويعلم أن الليل ميدان نشاط للشياطين والأشرار.

الرسالة الثالثة: التخصيص بعد التعميم يعلمنا الدقة في الخوف والأمل

لا نخاف من كل شيء، فالخير موجود في المخلوقات، والشر ليس مطلقاً، ولكننا نخاف من أوصاف الشر وأزمانه وأفعاله، ونتوجه إلى الله من هذه المخصوصات.

الرسالة الرابعة: الفرار إلى الله هو الحل الوحيد في مواجهة المخاوف

كلما أحسست بالوحشة، أو شعرت بالخوف، أو راودتك الوساوس، أو أحسست بتربص الأعداء، فافزع إلى الله، واستعذ به، وتوكل عليه، فالله هو النور الذي يبدد كل ظلمة، والأمان الذي يزيل كل خوف.

الرسالة الخامسة: القرآن يعالج الخوف باليقين، وليس بالإنكار

لم يقل القرآن: لا تخف، فلا يوجد خوف. بل قال: استعذ بالله من هذا الخوف. وهذا هو العلاج الواقعي، فالإنسان يخاف، والقرآن يعطيه العلاج وهو التوجه إلى الله.

الرسالة السادسة: كل شر في الكون هو تحت قدرة الله، وليس مستقلًا بذاته

الغاسق والوقب، والحيوانات المفترسة، والزواحف السامة، والأعداء المتربصون، والوساوس، والجرائم، كلها تحت قدرة الله، وكلها لا تضر إلا بإذن الله، فالاستعاذة بالله ترد هذه الشرور وتدفعها، وتجعل المؤمن في حصن حصين.

خاتمة أخيرة: اهربوا إلى الله من ظلمات الليل وشروره

أيها الإنسان، ها هي الآية تناديك: ﴿مِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، تخبرك أن هناك ليلا ً مظلماً دافقاً، وأن هناك شروراً تتربص في هذا الظلام، وأن هناك أخطاراً تحيط بك.

لا تقف مكتوفاً، ولا تستسلم للخوف، ولا تنظر إلى المخلوقات نظرة عاجزة، بل انظر إلى خالقها، وإلى مالكها، وإلى مدبرها.

اهرب من ظلمة الليل إلى نور الله، اهرب من خوف المخلوقات إلى أمان الخالق، اهرب من ضعفك إلى قوة الله، اهرب من وحدتك إلى صحبة الله، اهرب من شر ما خلق إلى رب الفلق.

فر إلى الله، ولو بقدميك إن استطعت، أو بقلبك وجوارحك، أو بدعائك وتضرعك، أو بأذكارك وتسبيحك. تعلق بحبل الله، واعتصم به، واستعذ به من شر الغاسق إذا وقب، ومن شر كل ما خلق، ومن شر كل ذي شر.

ثِق أن الله سيحميك، وسيكفيك، وسينصرك، وسيجيرك من كل مكروه، وسيجعل لك من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ومن كل خوف أمناً.

واجعل هذه الآية ترددها على لسانك كلما أقبل الليل، وكلما شعرت بالخوف، وكلما أحسست بالوحشة، فإنها شفاء لما في الصدور، ونور يبدد ظلمة القلوب، وحصن حصين من كل شر.
ثالثا .
تفسير الآية الرابعة من سورة الفلق

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾

المقدمة: حين يكون الشر خفياً... والسحر مكيدةٌ تنفث في الظلام

بعد أن استعاذ المؤمن بربه من شر الغاسق إذا وقب، ومن شر المخلوقات عامة، تأتي هذه الآية لتكشف عن أخطر أنواع الشرور وأكثرها خفاءً وأشدها تأثيراً في النفوس والأبدان: شر السحر. إنها آية تنتقل بنا من الشرور الظاهرة المحسوسة إلى الشرور الباطنة الخفية، من شر الليل المظلم إلى شر النفاثات في العقد، من شر المخلوقات المرئية إلى شر المكائد غير المرئية التي تعمل في الخفاء لتؤثر في الإنسان من حيث لا يشعر.

واللافت في هذه الآية أنها تأتي بعد استثارة الخوف من الظلام الدافق، لتربط بين الليل والسحر، فالسحر أعمال سرية لا تتم إلا في الخفاء، ومعظمها يكون ليلا ً، حيث تختلط الظلمات وتستتر الأعمال. وكأنما القرآن يريد أن يقول للمؤمن: لا تخف فقط مما تراه بعينيك من وحوش وزلازل، بل خف أيضاً مما لا تراه، مما يعمل في الخفاء، مما ينفث سمومه في العقد التي تعقد لتصيبك في دينك أو دنياك أو نفسك أو أهلك.

ثم جاءت صيغة ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ بصيغة المبالغة والتأنيث، لتدل على الكثرة والانتشار، ولتشير إلى أن هذا النوع من الشر كان وما زال أكثر ما يمارسه النساء، أو أن الصيغة جاءت للتغليب والمبالغة، لتشمل كل من ينفث في العقد من ذكر أو أنثى. إنها دعوة للاستعاذة بالله من شر هذا النوع الخبيث من الإيذاء، الذي يعتمد على تسخير الشياطين، والنفث بالكلمات الخبيثة على عقد تحكم ربطها، ليصيب المسحور بالمرض أو الفشل أو الضلال.

والنفث في العقد ليس مجرد حركة جسدية، بل هو تجسيد لمعنى الربط والتقييد، فالساحر يعقد

الخيط وينفث عليه كلمات السحر ليربط بها إرادة المسحور، ويقيد حركته، ويصيب قلبه بالخوف و الوسواس، ويجعله أسيراً لأوهامه. وهنا تأتي الاستعاذة بالله لتفك هذه العقد، وتحرر الإنسان من ربقات السحر، وتعيد له حريته وإرادته وقوته.

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق للآية

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾

التحليل اللغوي:

﴿وَمِنْ﴾: حرف جر للتبعيض، عطف على ما سبق من الاستعاذات، أي استعذ بالله أيضاً من هذا النوع الخاص من الشر.

﴿شَرِّ﴾: اسم مجرور، والشر هنا هو الأذى والضرر الذي يلحق بالإنسان من جراء أعمال السحر.

﴿النَّفَّاثَاتِ﴾: جمع "نفّاثة"، وهي صيغة مبالغة من "النفث"، والنفث لغةً: هو النفخ مع ريق قليل يخرج من الفم، وهو أقل من التفل .والنفاثات هن اللواتي ينفثن، أي يرمين بالريق أو الكلمات الخبيثة .وقد ورد في التفاسير أن النفاثات هن السواحر اللواتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها.

﴿الْعُقَدِ﴾: جمع عقدة، والعقد هو ما يربط ويحكم ربطه، وهي الخيوط أو العُقد التي يعقدها الساحر وينفث عليها كلمات السحر.

المفهوم العميق:

.1النفاثات في العقد: السحر بعينه

التفسير الراجح عند جمهور المفسرين أن "النفاثات في العقد" هن السواحر اللواتي يعقدن الخيوط وينفثن عليها كلمات السحر. وقد قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك: "يعني السواحر". وقال الطبري: "يقول: ومن شر السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط، حين يرقين عليها".

وهذا الفعل - النفث على العقد - هو من أبرز ممارسات السحر في الجاهلية، حيث تعقد الساحرة عقداً في خيط، وتنفث عليه كلمات مخصوصة من السحر، فتؤثر بذلك في المسحور.

.2النفث: أقل من التفل، وأكثر تأثيراً

النفث هو قذف الريق القليل من الفم، وهو أقل من التفل. وهذا يظهر دقة التعبير القرآني، فالساحر لا يحتاج إلى كمية كبيرة من الريق، بل القليل منه مع الكلمات الخبيثة والنية الشريرة كافٍ لإحداث التأثير المطلوب في عقد السحر. وكأن القرآن يصور لنا مشهد الساحر وهو يتكئ على عقدته، ينفث فيها سمومه وكلامه الخبيث.

.3العقد: رمز الربط والتقييد

العقد في السحر ليست مجرد خيوط مادية، بل هي رمز للربط المعنوي، فهي تربط إرادة المسحور، وتقيد حركته، وتسيطر على عقله، وتجعله أسيراً لأوهامه وخوفه. ومن هنا كانت الاستعاذة بالله من شر النفاثات في العقد، لأنها استعاذة من كل ما يقيد حرية الإنسان، ويسلبه إرادته، ويجعله تابعاً لقوى الشر.

.4صيغة التأنيث: لماذا "النفاثات"؟

جاءت صيغة التأنيث في "النفاثات" لأسباب عدة:

· غلبة النساء في السحر: لأن معظم السحرة كن من النساء، والسحر في الجاهلية كان غالباً ما تمارسه النساء، اللواتي كُن يُعرفن بالسواحر.
· صيغة المبالغة: التاء في "نفاثة" قد تكون للمبالغة لا للتأنيث، كعلامة وفهامة، أي أن اللفظ يشمل

الذكور والإناث على حد سواء، ولكن صيغة المبالغة تغلب عليها صيغة التأنيث.
· التعميم والتشمل: قيل إن "النفاثات" صفة للنفوس التي تفعل ذلك، فيكون اللفظ شاملا ً للذكور وا لإناث.

.5السحر: تعريفه وخطورته

السحر لغةً: كل ما لطف مأخذه وخفى سببه. وشرعاً: هو عقد ورقي وكلام يتكلم به الساحر، أو يكتبه، أو يعمله، يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، بإذن الله، واستعانة بالشياطين.

خطورة السحر تكمن في كونه:

· شركاً بالله: لأنه يستعين بالشياطين، ويدعوهم، ويتقرب إليهم.
· إفساداً للعقول: يوقع في قلوب الناس الخوف والوساوس والأوهام.
· تفريقاً بين الأزواج: قد يوقع السحر بين الزوجين، كما قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة:102]
· إمراضاً للأبدان: قد يسبب السحر أمراضاً نفسية وجسدية.
· إضلالا ً للعقول: قد يوقع الساحر المسحور في الضلال والجهل.

حكم السحر والساحر في الإسلام:

· السحر حرام باتفاق العلماء، وهو من كبائر الذنوب.
· الساحر كافر إذا كان سحره يستعين بالشياطين ويعتقد تأثيرها، وهذا هو الغالب.
· عقوبة الساحر: القتل عند جمهور العلماء، لأنه مفسد في الأرض، وكفره يستوجب القتل .وقد اختلف الفقهاء في التفاصيل، لكن القول الراجح أن الساحر يُقتل إذا كان سحره ضرراً وكفراً.
· من استعان بالساحر: فقد أتى كبيرة، وآمن بالباطل، وشارك الساحر في إثمه، فعليه التوبة والرجوع إلى الله.

ثانياً: المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس الكبرى

الموضوع الأول: النفاثات في العقد والسحر بين الحقيقة والوهم

حقيقة السحر:

السحر له حقيقة وأثر في الواقع، فهو ليس مجرد وهم أو خيال، بل له تأثير حقيقي في النفوس والأ بدان، بإذن الله. وقد ثبت ذلك في القرآن والسنة، وأقره العلماء. قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: 102]. وهذا دليل على أن السحر له أثر حقيقي في التفريق بين الزوجين.

ولكن تأثير السحر ليس مستقلا ً بذاته، بل هو بإذن الله، فلا يؤثر السحر إلا إذا شاء الله، والله هو الذي يسلط السحر على من يشاء لحكمة يعلمها، وهو الذي يرفع تأثيره عن من يشاء.

السحر في القرآن:

القرآن ذكر السحر في عدة مواضع، منها:

· قصة موسى مع السحرة: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الأعراف:[117 ، وكان سحر السحرة تخييلا ً للأبصار.
· قصة هاروت وماروت: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ البقرة:[102 ، وقد علما الناس السحر، مع تحذيرهما من الكفر به.
· آيات سورة الفلق: تستعيذ بالله من شر النفاثات في العقد، أي السواحر.

السحر بين الإيمان والتوحيد:

الإيمان بالله يقتضي الإيمان بأن الله هو النافع الضار، وأن السحر لا يضر إلا بإذن الله، وأن الا

استعاذة بالله هي الحصن الحصين من شر السحر. والسحر ليس قدرة مستقلة، بل هو من أعمال الشياطين، والشياطين لا تستطيع أن تضر أحداً إلا بإذن الله.

ومن هنا كانت الاستعاذة بالله من شر النفاثات في العقد، لأنها استعاذة بالله من شر أعمال الشياطين ومن شر من يستعين بهم.

الموضوع الثاني: واقعة سحر النبي ﷺ بين الإثبات والنفي

الروايات الواردة في سحر النبي ﷺ:

وردت في كتب السنة عدة روايات عن سحر النبي ﷺ، أشهرها ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كان رسول الله ﷺ سُحِرَ، حتى كان يُرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن". وفي رواية: "سحره رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم".

وجاء في الرواية أن السحر كان في مشط ومشاقة، موضوع في جف طلعة ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان. وأن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ وأخبره بمكان السحر، فأرسل علياً رضي الله عنه فاستخرجه، ثم حلّ العقد، فقام النبي ﷺ كأنما نشط من عقال.

الرد على هذه الروايات وبيان عدم صحتها في العقيدة:

هناك اعتبارات مهمة تجعل الأخذ بهذه الروايات على ظاهرها غير ممكن، خاصة في ما يتعلق بـ العقيدة:

.1تعارضها مع عصمة النبي ﷺ في التبليغ:

النبي ﷺ معصوم في تبليغ الوحي، والله تكفل بحفظه من الناس، قال تعالى: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: 67]. والسحر لو أصابه لأثر في عقله أو في تبليغه، وهذا يتنافى مع عصمته. وقد أجاب بعض العلماء بأن السحر لم يصب عقله ولا تبليغه، بل كان تأثيره في أمور دنيوية فقط، كأن يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتيهم. ولكن هذا أيضاً فيه نظر، لأن النبي ﷺ لا يقع في مثل هذه الأ مور التي تشغل باله وتؤثر في علاقته بأهله.

.2تعارضها مع تنزيه الله لرسوله مما كان يرميه به المشركون:

كان المشركون يرمون النبي ﷺ بأنه مسحور، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: 47]. فكيف يليق بالله أن يصدق قول المشركين بأن نبيه مسحور؟ إن الله نفى عن نبيه السحر، وأثبت له العقل الكامل والتبليغ السليم.

.3أن الحديث ورد من طريق الآحاد:

هذه الروايات وردت من طريق الآحاد، وهي لا تثبت في أمور العقيدة، وإنما تثبت في الأحكام العملية. وعصمة النبي ﷺ وعدم تأثره بالسحر هي من أمور العقيدة، فلا يجوز إثباتها بخبر آحاد. قال الإمام الحاكم: "حديث سحر النبي باطل".

.4تعارضها مع نصوص القرآن التي تنفي تأثير السحر على النبي:

قال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [التكوير: 25]، ونفى الله عن نبيه أن يكون مجنوناً أو مسحوراً. والله أعلم بحال نبيه، وأعلم بما ينزل عليه.

.5تعارضها مع مبدأ أن كل ما يصدر عن النبي هو شريعة وسنة:

النبي ﷺ قدوة في كل شيء، فكيف يكون قدوة لنا في الاستعاذة من السحر وهو واقع فيه؟ بل الصحيح أن النبي ﷺ أمرنا بالاستعاذة من السحر ليحمينا الله منه، لا لأنه وقع فيه. فهو المعلم، وليس المتعلم في هذا الباب.

الرأي الراجح:

الرأي الراجح عند المحققين من العلماء أن النبي ﷺ لم يتعرض للسحر، وأن هذه الروايات إما أنها غير صحيحة السند، أو أنها مؤولة على غير ظاهرها، أو أنها من باب التخييل وليس التأثير الحقيقي. وقد أنكر كثير من العلماء هذه الروايات، منهم الإمام الحاكم، وابن عثيمين، وغيرهم.

والقول بأن النبي ﷺ لم يتعرض للسحر هو الأوفق بالعقيدة، والأسلم للتوحيد، والأليق بمقام النبوة. و الله أعلم.

الموضوع الثالث: المفاهيم النفسية والفكرية والتربوية من الآية

.1المفهوم النفسي: السحر والخوف المرضي

السحر يزرع في النفس البشرية الخوف والقلق والوسواس، وقد يصاب الإنسان بمرض نفسي حقيقي نتيجة اعتقاده أنه مسحور، حتى لو لم يكن هناك سحر حقيقي. وهذا الخوف المرضي يجعل الإنسان أسيراً لأوهامه، فيفقد توازنه النفسي، ويعيش في حالة من الترقب والرعب.

القرآن يعالج هذه الحالة النفسية بأمره بالاستعاذة بالله، وتوكيد أن الله هو الحافظ، وأن السحر لا يضر إلا بإذن الله، وأن من استعاذ بالله كان في حفظه ورعايته.

.2المفهوم الفكري: السحر وتحرير العقل

السحر يحاول أن يسيطر على عقل الإنسان، ويقيد تفكيره، ويجعله يؤمن بالخرافات والأوهام. والقرآن يأتي ليحرر العقل البشري من هذه الخرافات، ويربطه بالله وحده، ويرفع عنه أغلال الجهل والتخلف.

الاستعاذة بالله من شر النفاثات في العقد هي استعاذة من كل ما يقيد العقل، ويسلبه حريته، ويجعله تابعاً للخرافات. وهي دعوة للتفكر والتدبر، وطلب العلم، ورفض الجهل والتخلف.

.3المفهوم التربوي: التحصن بالله من الشرور الخفية

التربية الإسلامية تعلم الإنسان أن يحصن نفسه من الشرور كلها، ظاهرها وباطنها، ملموسها وغير الملموس. والاستعاذة بالله من شر النفاثات في العقد هي جزء من هذه التربية، حيث تعلم الإنسان أن يلجأ إلى الله في كل وقت، ومن كل شر، وأن يكون دائماً في حالة من اليقظة والحذر، مع التوكل على الله والثقة به.

.4المفهوم الاجتماعي: السحر وتفكيك المجتمع

السحر من أخطر ما يهدد المجتمع، لأنه يزرع الفرقة بين الأفراد، ويفرق بين الأزواج، ويثير العداوة و البغضاء، ويفسد العلاقات الاجتماعية. والقرآن يعالج هذه الظاهرة بأمره بالاستعاذة بالله من شر السحر، وبتحريمه وتجريمه، وبالعقاب الشديد للسحرة، لحماية المجتمع من هذا الداء الخبيث.

.5المفهوم العملي: ماذا تفعل إذا شعرت بالسحر؟

إذا شعرت أنك مسحور، أو أن هناك من يعمل لك سحراً، فعليك أن:

· تستعيذ بالله وتكثر من الأذكار، وخاصة المعوذات وآية الكرسي.
· تتوكل على الله وتثق بأنه هو الحافظ، وأن السحر لا يضر إلا بإذنه.
· ترق نفسك بالرقية الشرعية، وتقرأ القرآن على نفسك.
· تبتعد عن السحرة والمشعوذين، ولا تذهب إليهم، فإن ذهابك إليهم يزيد الأمر سوءاً.
· تتوب إلى الله وتستغفره، وتصلح ما بينك وبينه، فإن الذنوب هي سبب تسلط الشياطين.
· تصبر وتحتسب، فإن الله مع الصابرين، وسيجعل لك من كل هم فرجاً.

رابعاً: الخاتمة النهائية (الرسالة الجامعة)

هذه الآية الكريمة من سورة الفلق تحمل في طياتها رسائل عظيمة، ودروساً عميقة:

الرسالة الأولى: السحر خطر حقيقي، والاستعاذة بالله هي الحصن

السحر له أثر حقيقي في النفوس والأبدان، وهو من أخطر ما يهدد الإنسان في دينه ودنياه. والا ستعاذة بالله من شر النفاثات في العقد هي الحصن الحصين الذي يحمي المؤمن من هذا الخطر.

الرسالة الثانية: الله هو الحافظ، فلا خوف مع الله

من استعاذ بالله، وتوكل عليه، وثق به، كان الله معه، وحفظه من كل سوء، ومن كل شر، ومن كل مكروه. فلا خوف على من كان الله معه.

الرسالة الثالثة: تحرير العقل من الخرافات

القرآن يحرر العقل البشري من الخرافات والأوهام، ويربطه بالله وحده، ويدعوه إلى التفكر والتدبر، وطلب العلم، ورفض الجهل والتخلف.

الرسالة الرابعة: السحر من كبائر الذنوب، وعقوبته القتل

السحر حرام، وهو من كبائر الذنوب، وعقوبته القتل عند جمهور العلماء، لحماية المجتمع من فساده.

الرسالة الخامسة: النبي ﷺ لم يتعرض للسحر، وهو المعلم لا المتعلم

الصحيح في العقيدة أن النبي ﷺ لم يتعرض للسحر، وأن الروايات الواردة في ذلك لا تثبت في باب العقيدة، وأن الله عصم نبيه من كل سوء، ومن كل ما يخل بتبليغه.

الرسالة السادسة: التحصن بالله من الشرور كلها

المؤمن يتحصن بالله من كل شر، ظاهر وباطن، ملموس وغير ملموس، معروف ومجهول، ويستعيذ به من كل ما يخيفه أو يؤذيه.

خاتمة أخيرة: استعذ بالله من شر النفاثات في العقد

أيها المؤمن، هذه الآية تناديك: استعذ بالله من شر النفاثات في العقد، أي من شر السواحر الذين يعملون السحر في الخفاء، وينفثون سمومهم في العقد التي تعقد لتؤذيك وتضرك.

لا تخف منهم، فإن الله معك، وهو يحفظك، وهو أقوى منهم، وهو الذي بيده كل شيء. استعذ بالله، وتوكل عليه، وثق به، وارض به رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً.

اجعل الاستعاذة بالله من شر النفاثات في العقد من أذكارك اليومية، وتذكر أن الله هو الحافظ، وأنه لا يضيع من استعاذ به، وأنه سيجيرك من كل سوء، ويكفيك شر كل مكروه.

رابعا

تفسير الآية الخامسة من سورة الفلق

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

المقدمة: حين يكون الشر في القلب... والحسد ناراً تأكل الحسنات

بعد أن استعاذ المؤمن بربه من شر المخلوقات عامة، ومن شر الغاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، تأتي هذه الآية لتختتم السورة الكريمة بأخطر أنواع الشرور وأكثرها فتكاً بالنفوس والمجتمعات: شر الحسد. إنها آية تنتقل بنا من الشرور الظاهرة إلى الشرور الباطنة، من شر المخلوقات المرئية إلى شر ما ينمو في صدور البشر من حقد وضغينة، من شر السحر الخارجي إلى شر النفس البشرية حين

تسول لها الشهوة والكبر أن تحسد غيرها على ما آتاه الله من فضله.

واللافت في هذه الآية أنها جاءت في خاتمة السورة، وكأنها تاجٌ على رأس الاستعاذات، وختامٌ يليق بـ المقام، فالحسد هو أصل كثير من الشرور، وهو باب من أبواب الفساد في الأرض، وهو الذي دفع إبليس إلى عصيان ربه، ودفع قابيل إلى قتل هابيل، ودفع إخوة يوسف إلى إلقائه في الجب، ودفع اليهود إلى الحقد على النبي ﷺ، ودفع الكفار إلى معاداته ومحاربته.

ثم جاء التعبير القرآني البديع: ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، فلم يقل "من شر الحاسد"، بل قال "من شر حاسد إذا حسد"، ليشير إلى أن الشر ليس في ذات الحاسد، بل في فعله وحاله حين يستولي عليه الحسد ويحرك مشاعره وأفعاله. فهناك أناس قد تمر بهم نزعة حسد ولكنهم يكبحونها، وهناك من يستسلم لها فتحرقه وتحرق غيره. والشر المستعاذ منه هو الشر الذي ينبعث من هذا الفعل الهدام، حين يتجسد الحسد في النفس ويسري في الدم، فيحول صاحبها إلى مخلوق حقود مدمر.

إنها آية تهز كيان الإنسان، وتذكره بأن أخطر الأعداء ليس من يتربص به في الظلام، بل من يسكن في قلب إنسان آخر، أو ربما في قلبه هو نفسه حين يغفل عن تزكية نفسه، فتولد فيه مشاعر الحسد التي تفسد دينه ودنياه، وتجلب الويلات على نفسه ومجتمعه. وكأنما القرآن يريد أن يقول للمؤمن: احذر الحاسد، واحذر أن تكون حاسداً، واستعذ بالله من شر هذا الداء الخبيث الذي يلتهم الحسنات كما تأكل النار الحطب.

أولا ً: التحليل اللغوي والمفهومي العميق للآية

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾

التحليل اللغوي:

﴿وَمِنْ﴾: حرف جر للتبعيض، عطف على ما سبق من الاستعاذات، أي استعذ بالله أيضاً من هذا النوع الخاص من الشر.

﴿شَرِّ﴾: اسم مجرور، والشر هنا هو الأذى والضرر الذي يلحق بالإنسان من جراء أعمال الحاسد وأقواله ونظراته وأفعاله، وهو شر قد يكون حسياً أو معنوياً، وقد يكون في الدين أو الدنيا.

﴿حَاسِدٍ﴾: اسم فاعل من "حسد يحسد حسداً"، والحسد في اللغة هو: تمني زوال النعمة عن المحسود، وكراهة حصول الخير له، والضيق بذلك .وهو خلق ذميم، ومرض قلبي، وداء نفسي خطير.

﴿إِذَا حَسَدَ﴾: ظرفية شرطية تدل على تجدد الحسد واستمراره، وأن الشر لا يكون من ذات الحاسد، بل من حاله حين يستولي عليه الحسد، فيتحرك بالأفعال والأقوال والنظرات التي تضر المحسود . وهي تفيد العموم أيضاً، أي كلما حسد واستسلم لحسده، وظهر أثره في سلوكه، كان شراً مستعيذاً منه.

المفهوم العميق:

.1الحسد: تعريفه وحقيقته

الحسد هو من أخطر الأمراض القلبية، وهو تمني زوال النعمة عن الغير، وكراهة حصول الخير له، و الضيق بذلك، وربما تطور إلى محاولة إيذاء المحسود وسلب نعمته. والفرق بين الحسد والغبطة: أن الغبطة هي تمني نعمة مثلها لمن يحسده، دون أن يتمنى زوالها عن صاحبها، وهي جائزة بل مستحبة إذا كانت في الدين والخير.

.2الحسد: شر خفي لكنه مدمر

الحسد هو شر خفي، لا تراه العيون، ولكنه يحرك الجوارح والألسنة، ويدفع صاحبه إلى الأفعال السيئة والأقوال المؤذية، وقد يصل إلى حد السحر والعين والنميمة والغيبة والافتراء. وهو أخطر على المجتمعات من الحروب الظاهرة، لأنه يزرع البغضاء والكراهية والتنافس غير الشريف بين الناس.

.3"إذا حسد": دلالة على التجدد والاستمرار

لم يقل "من شر حاسد" فقط، بل قال "إذا حسد"، ليشير إلى أن الحسد ليس مجرد صفة ثابتة، بل هو حالة تتفجر وتتجدد، وكلما تفجرت أصدرت شراً جديداً، فالحاسد لا يسكن حسده، بل يتجدد باستمرار كلما رأى نعمة على من يحسده، وكلما زادت النعمة زاد حسده. وهذا يجعله خطراً دائماً ومتجدداً.

.4التخصيص بعد التعميم: لماذا خُص الحسد؟

بعد أن عممت الاستعاذات في الآيات السابقة، تأتي هذه الآية لتخص الحسد، لأن شر الحسد هو من أشد أنواع الشرور تأثيراً في النفوس والمجتمعات. وهو يختلف عن سائر الشرور، لأنه شر ينبع من داخل الإنسان، وليس من خارجه. ولأنه يمس العقيدة والروح والقلب، ويؤثر في العلاقات الإنسانية كلها.

.5الحسد والعين: علاقة وثيقة

العين هي من آثار الحسد، فالحاسد إذا اشتد حسده، وأصاب من يحسده بنظره، قد تؤثر عينه فيه بإذن الله، ولهذا قال النبي ﷺ: "العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين" (رواه مسلم). والا ستعاذة بالله من شر حاسد إذا حسد تشمل الاستعاذة من شر العين ومن شر كل ما يفعله الحاسد.

ثانياً: المواضيع والقضايا والمفاهيم والدروس الكبرى

الموضوع الأول: الحسد: دوافعه، وخطورته، وعلاقته بالشرور الكبرى

أولا ً: دوافع الحسد:

.1الكبر والعزة: الحاسد يرى نفسه أفضل من غيره، فلا يرضى أن يكون أحد متقدماً عليه أو أفضل منه، وقد قال الشيطان: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ الأعراف:[12 ، فكان هذا الكبر سبب حسده لآدم.
.2حب الدنيا: التعلق بالدنيا ومتاعها يجعل الإنسان يشعر بالضيق إذا رأى غيره ينال منها أكثر منه، فيحسده ويتمنى زوال نعمته.
.3العداوة والبغضاء: قد يكون الحسد نتيجة لعداوة سابقة أو حقد دفين، فيتمنى الحاسد زوال النعمة عن عدوه.
.4الخوف من المنافسة: قد يحسد الإنسان غيره لأنه يرى فيه منافساً له في عمل أو جاه أو منصب، فيتمنى زوال نعمته ليعلو هو.
.5ضعف الإيمان: عدم الإيمان بالقضاء والقدر، وعدم الرضا بما قسمه الله، يجعل الإنسان يضيق بما في يد غيره، ويتمنى زوال نعمته.
.6النفس الأمارة بالسوء: النفس البشرية فيها شر، وهي التي تزين للإنسان الحسد، وتغريه باتباع هواه.

ثانياً: خطورة الحسد:

.1خطورة على الدين: الحسد يجر إلى الكفر، كما قال النبي ﷺ: "إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب") رواه أبو داود .(وقد يوقع الحسد صاحبه في الجحود بنعم الله، و السخط على قضائه، بل قد يوقعه في الشرك، كمن يحسد غيره فيلجأ إلى السحرة والمشعوذين.
.2خطورة على النفس: الحسد يملأ القلب ضيقاً وضغينة وغماً، ويحرم صاحبه الراحة والطمأنينة، فهو يعيش في عذاب نفسي دائم، كما قال بعض السلف: "ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد، فهو دائم الغم والحزن".
.3خطورة على المجتمع: الحسد يفرق بين الناس، ويزرع العداوة والبغضاء، ويحول المجتمع إلى حقل ألغام من التنافس غير الشريف، والتآمر، والغيبة، والنميمة، وقد يؤدي إلى القتل والدمار كما حدث مع قابيل وهابيل، ومع إخوة يوسف.

ثالثاً: الحسد والشرور الكبرى (الكبر، الغضب، الشهوة):

يقول العلماء: إن أصول الشرور كلها ترجع إلى أربعة أشياء: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة.

· الكبر: هو أصل الشرور، وهو الذي دفع إبليس إلى عصيان الله، وهو الذي يمنع الإنسان من قبول الحق، ويجعله يرى نفسه فوق الآخرين، وهو يولد الحسد، لأن الكبير لا يرضى أن يكون أحد مثله أو أفضل منه.
· الحسد: هو ثمرة الكبر، وهو تمني زوال النعمة عن الغير، وهو من أقوى الشرور تدميراً.
· الغضب: هو نتيجة الحسد، فالحاسد يغضب إذا رأى نعمة غيره، وقد يدفعه الغضب إلى أفعال عدوانية.
· الشهوة: قد تغذي الحسد، فالمتشهي لما عند غيره، قد يحسده ويتمنى نعمته لنفسه.

وهكذا نرى أن الحسد يقع في قلب هذه الشرور، وهو حلقة رئيسية في سلسلة الشر والفساد.

الموضوع الثاني: كيف عالج الإسلام الحسد؟

الإسلام جاء ليعالج داء الحسد من جذوره، وذلك عبر مجموعة من الوسائل:

.1الأمر بالاستعاذة بالله من شر الحاسد:

هذه الآية هي العلاج الأول، فهي تعلم المؤمن أن يلجأ إلى الله، ويستعيذ به من شر الحاسد، لأن الله هو الحافظ والناصر، وهو الذي يدفع شر الحاسد عن عباده.

.2الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بأن الله هو الذي يقسم الأرزاق والنعم، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، يزيل الحسد من القلب، ويرضي النفس بقضاء الله.

.3الرضا بما قسمه الله:

على المؤمن أن يرضى بما كتبه الله له، وأن يعلم أن الله أعطى كل إنسان ما يناسبه، وأن الغنى و الفقر والعلم والجاه والجمال كلها بتقدير الله، والناس يتفاوتون فيها لحكمة يعلمها الله.

.4تحويل التنافس من التنافس الدنيوي إلى التنافس في الخيرات:

الإسلام يوجه طاقات الناس إلى التنافس الشريف في الخيرات، والمسابقة في فعل الخير، والإيثار، و التعاون على البر والتقوى، بدلا ً من التنافس على الدنيا ومتاعها الزائل.

.5الأمر بالتسامح والعفو:

الإسلام يأمر بالعفو والتسامح، ويدعو إلى كظم الغيظ، ونسيان الإساءات، والترفع عن الصغائر، وهذا يقلل من أسباب الحسد.

.6الدعاء للحاسد والمحسود:

الإسلام يعلم المؤمن أن يدعو لمن يحسده بالخير والبركة، ليكون قدوة في التعالي على مشاعر الحسد ، ونشر المحبة والإخاء.

.7تذكير الحاسد بعاقبة الحسد:

الحسد يأكل الحسنات، ويحرق الطاعات، ويجعل صاحبه خاسراً في الدنيا والآخرة، وأن الله لا يرضى عن الحاسدين، وأن الحسد من أخلاق اليهود والنصارى والمشركين.

الموضوع الثالث: دور الآية في بناء الإنسان السليم نفسياً

.1تحرير النفس من الحقد والضغينة:

المؤمن الذي يستعيذ بالله من شر الحاسد، ويعلم أن الحسد داء قاتل، يحاول أن يطهر قلبه من هذا المرض، فيعيش في سلام نفسي مع نفسه ومع الآخرين.

.2تعليم الرضا والقناعة:

الاستعاذة من الحسد تعلم الإنسان أن يرضى بما قسمه الله له، ولا يتطلع إلى ما في أيدي الناس، وهذا يمنحه السعادة والراحة النفسية.

.3تحويل الطاقة السلبية إلى طاقة إيجابية:

بدلا ً من أن ينفق الإنسان طاقته في الحسد والكراهية، يوجهها نحو العمل الصالح، والإبداع، والإ نتاج، وخدمة المجتمع، وهذا يعود عليه بالنفع في الدنيا والآخرة.

.4بناء الثقة بالله والاعتماد عليه:

من استعاذ بالله من شر الحاسد، وأيقن أن الله حافظه، تزداد ثقته بالله، ويطمئن قلبه، ويستقر إيمانه.

الموضوع الرابع: دور الآية في بناء المجتمع والحضارة

.1القضاء على الشرور الاجتماعية:

الحسد هو سبب كثير من الشرور الاجتماعية، كالغيبة، والنميمة، والافتراء، والتحاسد، والتآمر، والفتن. والاستعاذة من الحسد، ومحاولة التخلص منه، تقضي على هذه الشرور، وتجعل المجتمع أكثر تماسكاً واستقراراً.

.2تحويل التنافس إلى تنافس خير:

المجتمع الذي يخلو من الحسد، يكون تنافسه تنافساً شريفاً على الخير والبر والتقوى، وليس تنافساً هداماً على الدنيا والجاه والمنصب. وهذا ينعكس إيجاباً على المجتمع في جميع المجالات: العلمية، الا قتصادية، الاجتماعية، والثقافية.

.3بناء الاقتصاد على أساس التعاون والخدمة:

الحسد يدفع الناس إلى الاستئثار بالثروات، وعدم التعاون، والسعي لإفشال الآخرين. أما المجتمع الخالي من الحسد، فيكون اقتصاداً يقوم على التعاون، وتبادل المنافع، وتقديم الخدمات، مما يؤدي إلى النماء والازدهار.

.4نشر المحبة والإخاء:

المجتمع الذي يعالج الحسد، ويكافح آثاره، يكون مجتمعاً متماسكاً، تسوده المحبة والإخاء، والتعاون، و التكافل الاجتماعي، وهذا هو المجتمع الإسلامي المثالي.

الموضوع الخامس: أهمية القضاء على الحسد في القرآن

القرآن الكريم اهتم بالقضاء على الحسد، لأنه من أكبر مسببات الفساد في الأرض:

· في سورة الفلق: جاءت الاستعاذة من الحسد في خاتمة السورة، وكأنها تتويج للاستعاذات كلها.
· في سورة الناس: الاستعاذة من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس، والحسد من أكبر أسباب الوسوسة.
· في سورة البقرة: ذكر الله قصة إبليس وحسده لآدم، وقصة هابيل وقابيل، وقصة إخوة يوسف، كلها نماذج لشر الحسد وعواقبه الوخيمة.

· في سورة النساء: حذر الله المؤمنين من الحسد: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء:.54]
· في سورة الفتح: أثنى الله على المؤمنين الذين لا يحسدون، بل يتحابون ويتوادون.

والحكمة من هذا الاهتمام هي أن الحسد هو منبع الشرور كلها، فإذا استأصله المؤمن من قلبه، سلم من الشرور كلها، وعاش في سلام مع الله ومع الناس ومع نفسه.

الموضوع السادس: الحسد والتنافس الإيجابي

الإسلام لا يمنع التنافس، بل يحث عليه، ولكنه ينوعه ليصبح إيجابياً:

.1التنافس في الخيرات:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: 148]، وقال: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: 26]. وهذا يعني أن التنافس الحقيقي هو التنافس في القربات، والطاعات، والأعمال الصالحة، وخدمة الناس ، والدعوة إلى الله.

.2التنافس في العلم والمعرفة:

الإسلام يحث على طلب العلم، والتفوق فيه، والمنافسة على خدمة البشرية من خلال الاكتشافات والا ختراعات والإبداعات.

.3التنافس في إتقان العمل:

النبي ﷺ قال: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا ً أن يتقنه" (رواه الطبراني). وهذا حث على الإ تقان والتميز، وهو تنافس شريف.

.4التنافس في خدمة المجتمع:

المسابقة في تقديم الخدمات للناس، وكشف المظالم، وإغاثة الملهوفين، كلها صور من التنافس الإ يجابي.

.5تحويل الحسد إلى غبطة:

بدلا ً من أن يحسد الإنسان غيره على نعمه، يغبطه ويتمنى مثلها، ويعمل ليحققها لنفسه، وهذا يحول الطاقة السلبية إلى طاقة إيجابية بناءة.

ثالثاً: الخاتمة النهائية (الرسالة الجامعة)

هذه الآية الكريمة من سورة الفلق تحمل في طياتها رسائل عظيمة، ودروساً عميقة:

الرسالة الأولى: الحسد شر خفي لكنه مدمر

الحسد هو من أخطر الأمراض القلبية، وهو أصل لكثير من الشرور التي تفسد الأفراد والمجتمعات، وهو تمني زوال النعمة عن الغير، والضيق بما قسمه الله لعباده.

الرسالة الثانية: الاستعاذة بالله من الحاسد هي العلاج

الملجأ الوحيد من شر الحاسد هو الله، فهو الحافظ والناصر، وهو القادر على دفع شر كل حاسد، فاستعذ به، وتوكل عليه، وثق به.

الرسالة الثالثة: القضاء على الحسد يبني الإنسان السليم والمجتمع القوي

من تطهر من الحسد، عاش في سلام نفسي، وطمأنينة قلبية، وأصبح عضواً نافعاً في مجتمعه، يعمل على بنائه وتطويره، ويتنافس مع الآخرين في الخير والبر.

الرسالة الرابعة: التنافس الشريف أساس الحضارة

الإسلام يحث على التنافس الشريف في الخيرات، والعلم، والعمل، وإتقانه، وخدمة المجتمع، ويحارب التنافس على الدنيا والجاه والمنصب الذي يولد الحسد والكراهية.

الرسالة الخامسة: الحسد أصل الشرور الكبرى

الكبر، والغضب، والشهوة، كلها شرور ترتبط بالحسد، وتتغذى عليه، وتغذيه، والقضاء على الحسد يعني القضاء على باب عظيم من أبواب الفساد في الأرض.

الرسالة السادسة: القرآن يبني مجتمعاً متماسكاً خالياً من الحسد

من خلال تعاليم القرآن، يمكن بناء مجتمع خالٍ من الحسد، تسوده المحبة والإخاء، والتعاون والتكافل، ويعمل أفراده على بناء الحضارة الإنسانية في إطار من العدل والإنصاف.

خاتمة أخيرة: استعذ بالله من شر حاسد إذا حسد

أيها المؤمن، هذه الآية تناديك: استعذ بالله من شر حاسد إذا حسد، أي من شر كل من يتمنى زوال نعمتك، ويضيق بما آتاك الله، ويحاول إيذاءك بلفظ أو فعل أو نظر.

لا تخف منه، فإن الله معك، وهو يحفظك، وهو أقوى منه، وهو الذي بيده كل شيء. استعذ بالله، وتوكل عليه، وثق به، وارض بما قسمه لك، واطلب منه البركة في نعمه.

واجعل هذه الآية من أذكارك اليومية، وتذكر أن الحسد هو داء يحرق صاحبه قبل أن يحرق غيره، وأن من استعاذ بالله من شر الحاسد، كان الله معه وحفظه.

وتذكر أن التنافس الحقيقي ليس على الدنيا، بل على الخيرات والطاعات والقربات، وأن من سبق في ذلك كان الفائز في الدنيا والآخرة.

واجعل حياتك بناءً، لا هدماً، وإنتاجاً، لا تخريباً، ومحبة، لا كراهية، وإيثاراً، لا حسداً، وتنافساً في الخير، لا تنافساً في الشر.

والله ولي التوفيق، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.